الباب الأول

التعلم ومراحله
والمدرسة ودورها
الاجتماعي والتربوي والتعليمي

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

التعلم ومراحله

هل فكر أحدنا أو تساءل بينه وبين نفسه عن ماهية التعلم؟ أو ما الهدف أساسا من التعليم؟ أو لم قسم التعليم لهذه المراحل بداية من الحضانة وحتى الجامعة؟ وما الهدف من كل مرحلة تعليمية ؟ وهل بالفعل هو هدف مناسب لطبيعة كل مرحلة أم لا ؟ ثم هل يكون التلميذ بالفعل عند الانتهاء من كل مرحلة تعليمية قد حقق الهدف منها ؟ وعلى عاتق من تقع مسئولية هذه العملية التعليمية؟ على المدرسة أم الأسرة أم الأبناء أم المجتمع ككل ؟

هيا بنا لنحاول أن نجيب عن هذه التساؤلات من خلال الدراسات التربوية والنفسية التى عكف عليها الكثيرون من علماء التربية والنفس.

أولاً : التعلم :

إن التعلم مرحلة أساسية فى الحياة، فنحن نتعلم من البيئة المحيطة بنا والظروف التى نعيشها أموراً كثيرة، فكل إنسان يتعلم، وفى أثناء تعلمه تنمو أنماط السلوك التى يمارسها.. وإذا تتبعنا أى مظهر من مظاهر النشاط البشرى سنجد أن وراءه عملية تعلم.

وإذا نظرنا لكيفية خضوع الطفل للتعلم سنرى أنه يتعلم بصفة مستمرة.. يتعلم من داخل البناء الأسرى ثم من بيئته الخارجية.

فمثلا فى طفولته الأولى يتعلم أن ينادى أمه بالصياح.. ثم سرعان ما يميز بين الأصوات الخارجية.. وحين تنمو أطرافه يتعلم

كيفية إمساك الأشياء وتركها.. وحينما تقوى عضلاته يتعلم المشى..ثم يتطورالأمر كلما كبر فيتعلم اللغة وأساليب مخاطبة الناس وآداب المائدة .. واحترام الكبار ..... إلخ.

والواقع يحتم علينا أننا مادمنا نعيش لابد أن نتعلم ..إذاً دون هذه العملية تفقد الحياة قيمتها.. فالحياة والتعلم شيئان متلاصقان لا يمكن الفصل بينهما.. فلو تخيلنا إنسانا ظل على سلوكه الفطرى ونما وكبر ولم يتعلم شيئاً من العالم الخارجى.. فماذا ستكون سلوكياته؟.. لا شك أن الحيوانات الأليفة التى تعلمت أشياء فى حياتها ستكون أفضل منه.. ومن هنا يتضح أنه كلما زاد تعلمنا لأساليب سلوكية كان تكيفنا مع العالم الخارجى أبسط وأوضح.

ومن هنا أيضا تتضح لنا حقيقة جلية وهى أنه لابد من وجود "معلم" حتى تتم العملية التعليمية ، فالأب معلم لأبنائه، والأم معلمة لأبنائها، ورئيس العمل معلم لمرءوسيه والمدرس معلم لتلاميذه، حتى الدول تقوم بدور المعلم لشعوبها فى كثير من الأمور مثل كيفية التعاون وقت الشدة وحقوقهم وواجباتهم... إلخ.

والدور الأكبر فى هذه العملية يقع على عاتق المعلم أو المقصود به المدرس المدرسى وهو الشخص الذى يمتهن التعليم ويعلم تلاميذه الكثير من المعارف والأمور ويعدهم لمجابهة الحياة الخارجية.. ولقد أصبح دوره فى عصر العولمة الذى نعيشه لا يقتصر على تعليم القراءة والكتابة والحساب.. و..... فقط ، بل تعدى هذا أو امتد لتعليم الأبناء طريقة التفكير السليمة وتعويدهم على عادات اجتماعية معينة تناسب إعدادهم للمشاركة فى بناء مجتمع عصرى وتهيئتهم للدفاع عن هذا الكيان المستقل ومسايرة الركب الحضارى المتقدم دون الاتكال أو الاعتماد على أحد.

ونظراً لأهمية عملية التعليم اعتبر علماء النفس أن الوظيفة الرئيسة للعقل البشرى هى التعليم، وربطوا بين نظرياتهم السيكولوجية العامة ونظرياتهم فى تفسير التعليم.

ثانيا: مراحل التعليم والهدف منها

لكى يتم التعليم الدراسى لابد أن نقسمه لمراحل يكون لكل منها غرض تعليمى معين بحسب حاجة الأمة. وقد تم التقسيم فعلاً إلى ست مراحل وهى: مرحلة الحضانة والابتدائى والاعدادى والثانوى والجامعة والدراسات العليا لمن يرغب فى إتمامها.. وكان وراء كل مرحلة هدف معين لابد من تحقيقه، تعكف على دراسته مجموعة من المتخصصين التربويين لأن أى عمل ناجح لابد أن يكون له هدف محدد، وبالتالى لابد من وجود هدف لكل مرحلة تعليمية.

فالهدف هو النقطة النهائية التى يضعها المخططون ثم يحددون طرق الوصول إليه والمراحل اللازمة لتحقيقه.. وبالطبع يشترط فى تحديد الهدف عدة شروط منها:

١- أن يكون مفيداً للمجتمع. ٢- أن يكون قابلاً للتحقق.

٣- ألا يكون من طبيعة مختلفة عن طبيعة العمل الذى يؤدى إليه.

٤- أن تكون الوسائل المتبعة لتحقيقه من نوع الهدف ذاته.

فهل تحقق لنا الهدف من كل مرحلة تعليمية بالفعل؟ وهل كان هدفا مناسبا لطبيعة تلك المرحلة؟ وهل حين ينتهى التلميذ من أى مرحلة تعليمية يكون قد حقق الهدف منها؟

- **إذا بدأنا بمرحلة الحضانة مثلاً:** ما الهدف المنوط بـــها؟ هل هو تعليم القراءة والكتابة باللغة العربية، أم تعليم إحدى اللغات الأجنبية؟ أم تفاعل التلاميذ مع الآخرين؟ أم اكتساب بعض المهارات الحركية؟ أم ماذا بالضبط ؟!

- **ثم إذا انتقلنا للمرحلة الابتدائية وتساءلنا:** هل الهدف هو حشو أذهان التلاميذ بمجموعة من المعلومات كالتاريخ والرياضيات والأدب وقواعد اللغة العربية أم إجادة القراءة والكتابة؟ أم محاولة دفع التلاميذ لكى يعبروا عن أنفسهم ؟
- **بالنسبة للمرحلة الإعدادية:** هل هى مجرد امتداد للمرحلة السابقة، أم بداية لدفع التلميذ للتفكير أكثر واستثارة خياله؟ أم متابعة قدرته على تنفيذ الواجبات المدرسية التى يكلف بـــها؟ أم قدرته على تنفيذ عمل مدرسى بالمشاركة مع زملائه؟ أم بماذا تتميز؟
- **نأتى للمرحلة الثانوية:** وهي المثقلة بالمقررات الدراسية والتى يطالب فيها التلميذ بحفظ واستذكار الكثير من المعلومات بهدف استعادتها فى ورقة الامتحانات..

وفى هذه المرحلة يطرح عليه بصورة شبه إجبارية الطريق العلمى أو الأدبى الذى سوف يحدد طريقه فيما بعد.

- **ثم ننتهى بالمرحلة الجامعية ونتساءل** : هل الهدف منها هو تزويد الطالب بمجموعة من المعارف؟ وهل من الممكن أن يشارك فى مناقشتها وإنتاجها؟ هل تتاح له فرصة التحليل والنقد أم عليه أن يتقبل المسلمات بدون مناقشة ؟ هل دوره هو استذكار الكتب والمذكرات المقررة عليه، أم تتاح له إمكانية القيام بأبحاث مبسطة أو صغيرة؟ **والتساؤل الأهم هو:** هل تعد الجامعة طلابـــها ليكونوا مؤهلين للعمل بالفعل أم يظلون بحاجة لتأهيل جديد وإعادة تأهيل !

وأخيراً: فإن تحديدالأهداف فى مجال التعليم أمر فى غاية الأهمية ولا يكفى أن تكون هذه الأهداف واضحة لدى رجال التعليم

فحسب، وإنما لابد أن تكون بنفس درجة الوضوح لدى التلاميذ وأولياء الأمور والمجتمع ككل، لأنه على أساسها يمكن تقييم نظامنا التعليمى ووضعه فى إطاره الواقعى، بدلاً من التركيز على ما به من سلبيات أو إعلان ما يحققه من إنجازات، وعلينا أن نتجه للمستقبل بفكر جديد يضع الأطر الكفيلة بتصنيف الطلاب حسب ميولهم وقدراتهم تجاه نوعية الدراسة التى تتلاءم معهم ويتجاوبون معها. وإذا كان أرسطو هو صاحب مقولة " اعرف نفسك بنفسك" فمن باب أولى أن نعرف نظامنا التعليمى ـ الذى هو أساس التقدم والنهضة ـ بأنفسنا بدلا من أن يأتى الآخرون ليعرفوه لنا أو يعرفونا به.

ولهذا فلم يعد دور المدرسة فى المجتمع محل مناقشة ، فقد أصبح التعليم بالنسبة للأمم واحداً من أولوياتها الاستراتيجية إن لم يكن أهمها على الإطلاق لأن الشعوب تواجه مستقبلها ومصائرها بالأجيال الناشئة ـ المتعاقبة التى أجيدت تربيتها وأتقن تعليمها .. ولو نظرنا للعالم من حولنا ونحن فى العقود الأولى من الألفية الثالثة وما يحدث به من تغيرات وتحولات وإنجازات علمية لأدركنا حجم المسئولية الملقاة على عاتق التربويين والذين يخططون للتربية والتعليم فى عالمنا العربى والإسلامى .

* * *

المدرسة ودورها الاجتماعى

لقد أصبحت حضارة الشعوب تقاس بمدى حسن استعمالها للثروة البشرية الكامنة فى أبنائها وتوجيه سلوكهم الوجهة الصحيحة التى تسهم فى تقدم الإنسانية..

وقد وضعت النظم التعليمية للعناية والإشراف على هذا التوجه.. والمدرسة هى الوسيلة التى اصطنعها المجتمع لنقل الحضارة ونشر الثقافة وتوجيه الأبناء الوجهة الاجتماعية الرصينة ليكتسبوا من العادات الفكرية والعاطفية والاجتماعية ما يساعدهم على التقدم بـــهذا المجتمع.. فالمدرسة هى المؤسسة التى ارتضاها المجتمع للإشراف على هذه العملية..

ولذا نجد أن دور المدرسة ينصب فى التأثير المنظم فى سلوك الأفراد فى أعمار زمنية متقاربة بقصد إكسابـــهم المهارات والعادات التحصيلية والعادات الفكرية والاتجاهات التى تسهم فى عملية التنشئة.

إن دور المدرسة مهم جداً فى تكوين شخصية الطفل.. فهى مركز اجتماعى مهم حيث يقضى الطفل فيها ساعات طويلة من حياته اليومية يكتسب فيها خبرات اجتماعية تساعده على التلاؤم مع المجتمع الكبير.

ولذا يجب أن تراعى فى المدرسة هذه الأمور:

١- ألا يبنى النظام المدرسى على التسلط والقسوة، بل على حث التلاميذ على التعاون والاحترام وحب النظام مع توافر المرونة.

٢- أن تراعى المدرسة الفروق الفردية بين التلاميذ وتشمل هذه الفروق القدرات العقلية والمهارات والاختلافات الشخصية.. وعلى ضوء هذه الفروق يمكنها مساعدة الطفل للتكيف مع الدراسة.

٣- أن تكون المناهج من واقع البيئة التى يعيشها التلاميذ ويكون لها معنى ووظيفة بحيث يتعلم الطفل ويطبق ما يتعلمه إذا أمكن هذا.

٤- البعد تماما عن تخويف الطفل وإرهابه أو إهانته بالسخرية أو التحكم فيه أو إيذائه بدنيا بالضرب مثلا.. لأن هذه الوسائل من شأنها خلق العقد النفسية للطفل..، وليس معنى هذا ألا نعاقب الطفل المخطئ، بل على العكس يجب أن تقابل أخطاء التلاميذ المتعمدة بالعقاب، ولكن المناسب للخطأ وعدم المبالغة فيه، وسنفرد فيما بعد فصلا فى كيفية العقاب والثواب.

٥- لابد من وجود إخصائى نفسى واجتماعى بالمدرسة، ويلعب دوراً فعالا ويعمل جاهدا على مراعاة نفسية التلاميذ وخاصة أصحاب المشاكل الخاصة، وإذا ظهرت أعراض لأى مرض نفسى أو تخلف دراسى لابد من دراسة أسبابه وتعاون كل من البيت والمدرسة للوصول بالطفل لبر الأمان.

٦- يجب أن يكون بكل فصل قدر معقول من التلاميذ، بحيث يحقق نوعا من الصلة المباشرة بين المدرس وتلاميذه وهو ما يطلق عليه التفاعل الإنسانى.

* * *

المدرسة ودورها التربوى

لا شك أن كلا منا يريد أن يكون ابنه حى الضمير، يقظ الروح، مراقبا لله تنبع سلطة الردع من داخله ، واثقا من نفسه،أمينا،شجاعا ، متحضر السلوك ، سوى التفكير ، بعيداً عن العقد والاضطرابات بمختلف أنواعها وأشكالها.

ولكن لا خلاف فى أنه لا يكفى أن نريد.. بل المهم أن نسعى سواء آباء أو أمهات أو مربين لتحقيق هذا.. وهذا لا يتأتى أبداً

بالمصادفة.. بل بتبنى فلسفة وسياسة محددتين فى تربية الأبناء لايمكن أن تخضع لأهواء الكبار وانفعالاتهم وحماقاتهم وإلا ستكون النتيجة عكسية .

• ماذا نعنى بالتربية ؟

التربية هى اكتساب للسلوكيات والعادات التى توفق بين الفرد وبيئته، ولكن من الضرورى أن نفهم هذا التوفيق بمعناه الفعال وهو السيطرة على الوسائل لبلوغ الغايات .. وهذا التعريف يعبر لنا عن ناحية جوهرية من نواحى نمو الشخصية، ويتحقق هذا النمو عن طريق الآباء والمربين والمدرسة وكل المجتمع.

ومسئولية المعلمة بالنسبة للطفل فى هذا الصدد مهمة جداً وخاصة فى المراحل الأولى ، ولذا يجب أن تؤهل بدورات تربوية تتعلم فيها أصول معاملة الطفل والأساليب النفسية التى تقرب الصغار من قاعة التدريس، وتمنع عدوانهم على بعضهم البعض.. وتتلقى فصولا كاملة عن سيكولوجية الطفولة وأنشطتها وطرق التخاطب معها حتى تستطيع لعب دور البديل عن الأم بكل مهارة وذكاء موفرة المحبة لجميع الأطفال دون عصبية أو غضب، وتساوى فيما بينهم فى اللعب والاهتمام وتوزيع الحلوى والهدايا حتى تشعر الطفل أنه لم يفقد حب أمه ولايترك الانفصال الانفعالى أثره عليه.

* * *

الدوافع فى التربية

كلما استطاعت التربية أن تؤثر فى السلوك تأثيراً يحقق مصلحة الفرد، دون أن يتناقض ذلك مع تقاليد المجتمع الذى يعيش فيه، كلما كانت أقرب إلى تحقيق رسالتها.

والسلوك أساسا يقوم على دوافع داخلية نفسية ويظهر أثر التربية حين يصطدم الدافع بالبيئة .. ونحن فى هذه الحالة نتطلب من التربية أن توائم بين الدوافع والبيئة .. واستغلال الدوافع على نهج صحيح، وبهذا نستطيع أن نكون الشخصية الصالحة.

فمن الممكن مثلا أن نوجه الدافع لدى الطفل لما فيه صالحه.. فإذا كان دافع حب التملك متملكا منه فنوجهه لجمع أشياء مفيدة.. ومن لديه دافع حب الاستطلاع قوى ندفعه للبحث العلمى مثلا ، ونستطيع توجيه روح المنافسة والمقاتلة للرياضة.. وهكذا حتى لا تحدث اضطرابات داخلية لعدم إشباع الدافع.

والذى لابد من معرفته أن الدافع يجب أن يكون موجوداً لدى الشخص أولاً ثم نقوم نحن بتعديله وتوجيهه.

ولكن الدوافع وحدها ليست كفيلة أيضاً بتوجيه الطفل الوجهة التى نريدها ، ولذا لابد أن نهيئ له مجموعة من العوامل المساعدة، فمثلا عن طريق الجوائز والمكافآت نستطيع أن نلهب حماسه وندفعه للعمل بقوة.

والحافز والدافع مجرد وسيلة مساعدة لتوجيه الطفل، والواقع أنه يجب أن نُشعر الطفل بإيجابيته ونعلمه كيف يعتمد على نفسه حتى يتكشف نبوغه، ويجب ألا يعتمد على الطريقة التلقينية من المدرس حتى لا ينشأ خمولا فى تفكيره ويتعود الاعتماد على غيره، فلابد أن نعطيه فرصة ليفكر بنفسه.. ولكن ما علاقة الدوافع بعملية التعلم؟

الدافع والتعلم

هناك علاقة وثيقة بين الدافع والتعلم، ولا يوجد فى الواقع تعلم دون أن يكون مصحوبا بدافع ما. .. ونحن نعلم أن الطفل يتعلم سريعا وسعادته دائما تتوقف على مقدرته فى اكتساب محبة الآخرين، وهذه الرغبة هى أقوى الدوافع للطفل، ومن هنا فإن كانت رغبة الطفل ودفعه للعمل ترتبطان بحبه لشخص معين يريد إرضاءه ، فلابد لمن يتولى تعليمه أو تدريسه أن يحرك فيه هذه الرغبة بأن يجعله يحبه أولاً ثم يدفعه بوسائله العديدة للعمل وتحقيق النجاحات.

وعلى من يعلم الطفل أيضاً أن يعنى باختيار الموضوعات التى تتفق وميوله وحاجاته المختلفة..لأنه من الطبيعى إذا كانت الموضوعات التى يتعلمها الأطفال متصلة بميولهم فإن هذا سيعطى لما يدرسونه روحا جديدة وحيوية ويعطى نتائج سريعة، ويكون أقوى وأعمق مما لو أهمل استغلال ما لدى الطفل من دوافع.

كما يجب على من يعلم الطفل ألا يستند على الدوافع التى لديه فحسب، بل يحثه على المزيد وأن يجعله يشعر أن هناك نقصاً لابد أن يتممه، وهذا يساعده على اكتساب خبرات وميول جديدة.

وحين يستطيع الطفل أن يحصل على التقدم أو النجاح فيما يوجه إليه يأمل فى تقدير الآخرين على أفعاله.. فهذا يسعده كثيراً ويجعله يعمل بصورة أفضل.

ومن هنا نجد أن :

- لايجب أن نطالب الطفل بأن يقوم بعمل يتجاوز حدود طاقته.. لأننا بذلك نعرضه للفشل والإحباط .

- إذا وجدت عراقيل فى طريق عمل الطفل مع التشجيع ودفعه لإزالتها من الممكن أن يحقق النجاح إذا كان فى استطاعته ذلك، وحينئذ سيشعر بارتياح ويقبل أكثر على عمله.
- نحن نعلم أن النجاح يشيع الثقة فى نفس الطفل ولكن ماذا لو فشل؟ لو فشل يجب أن نساعده ليواجه مشاكله ولا نتخذ من فشله ذريعة للتشهير به.
- يجب أن ندرس نفسية الطفل ودوافعه دراسة وافية لمعرفة ما يؤثر عليه فى وقت معين ومتى نجازيه بجائزة ومتى نعاقبه وما نوع العقاب ونصنف معاملته ونتعرف على ماذا يريد وماذا يرفض وما الوسائل التى تؤثر عليه ؟!
- وقد وجد أن الاعتماد على رغبة الطفل هو أقوى مؤثر لأنه من الممكن أن يؤدى الثواب مثلا لنتيجة عكسية حيث يعتاد الطفل على مكافأة فى نهاية أى عمل يعمله، فإذا منعت يؤدى هذا لكراهيته لأداء هذا العمل... وهكذا.
- كذلك العقاب.. المبرر الوحيد له هو أن نمنع الطفل من عمل شىء يضره أو يضر الآخرين.. وغالبا نتيجة العقاب سيئة.. فنجد أن الطفل يتستر على جريمته وأخطائه حتى لا يكتشفها الكبار خشية العقاب ولكنه لا يقلع عن ارتكابه للأخطاء.. وقد يؤدى العقاب إذا لم يكن مناسبا للفعل لكراهية الطفل للكبار.. وقد يؤدى لشعوره بالخوف وتسيطر عليه هذه الحالة فى جميع أدوار حياته وتجعله مضطربا بطىء التفكير نهباً للوساوس والآلام.

وسنفرد الفصل التالى فى كيفية إثابة الطفل وعقابه، ومتى يتم هذا والنتائج المترتبة عليه ولكن بعد أن نتعرف على ميول الطفل ومهاراته وكيفية توجيههما الوجهة الصحيحة .

الميـــول

لكل إنسان ميول تختلف عن ميول غيره، وهذه الميول على اختلافها لا يمكن الاستغناء عنها فى نمو الشخصية وتوجيهها.

فمنذ أن يتعرف الطفل على بيئته تنمو عنده دوافع التعلم والميول والاهتمامات الخاصة .

فنجد التلميذ المبتدئ يهتم بالألوان المبهرة وبكل ماهو متحرك وله نشاط مباشر.. وبمجرد دخول الطفل المدرسة تتحول ميوله واهتماماته، فيتقدم التعليم، بينما يتراجع اللعب الذي كان هو النشاط الرئيسى له.

ويسهل على الكبار خصوصا المدرسين ، توجيه اهتمامات وميول تلاميذ الصف الأول الابتدائى . فالتلاميذ فى هذه السن يكونون مرتبطين بمدرسيهم ارتباطا وثيقا . لذلك يجب استغلال هذا الوضع فى توجيه اهتمامات، وميول تلاميذهم لما ينفعهم مستقبلا ، وبطريقة تربوية سليمة .

ولنمو الاهتمامات والميول يجب أن نقدم المواد التعليمية للتلاميذ بطريقة محببة ، فنقدم لهم النماذج المبهرة والقدوة كالشخصيات البارزة من العلماء والأدباء وأبطال الرياضة المشاهير مثلاً .

وإذا اتجهنا لتلاميذ الصف الثانى والثالث الابتدائى، نجد أن تحديد ميولهم من الصعب فى هذه السن لتغيرها باستمرار، ويتضح هذا إذا سألت الطفل مثلاً عن المهنة التى يرغب فى مزاولتها فسنجد أن هنالك تباينا واضحا.

ولكن لا يجب أن نغفل الميول الخاصة فى هذه السن التى من الممكن أن تحدد مستقبل الطفل .. مثل حبه للموسيقى أو الرسم أو خلافه .

وسنجد أن اهتمامات التلاميذ فى هذه الفترة أيضا تتلاءم مع تفكيرهم وخيالاتـــهم وأحاسيسهم .. فهم يهتمون بالظواهر الطبيعية والخرافات والقصص المثيرة.. وأحيانا نجدهم يميلون لاهتمامات كثيرة اجتماعية مثلا كبناء الوطن وسياسته ومسائل الحروب والسلام وكفاح الشعوب وخاصة إذا كان هذا له دور فى حياتنا ويتنامى لأسماع الأطفال كالفترة التى نحياها الآن وما يشوبـــها من معارك وحروب .

نأتى لتلاميذ الصف الرابع والخامس فنجد أن الاهتمامات والميول تتغير ، ففى هذه السن تتراجع الخرافات وتتقدم قصص المغامرات والأحداث ، فيهتم التلاميذ بقصص الأبطال وحياة العلماء والفنانين،وهذا معناه أن الاهتمام بالحياة الاجتماعية يزداد.

وعندما نصل لتلاميذ الإعدادى نجدهم يميلون لقراءة الكتب التى تتكلم عن الشجاعة والعزيمة والاختراع والعبقرية، كما يميلون للكتب التى تتحدث عن أبطال التاريخ ورحلات الفضاء.. وتكون عندهم رغبة ملحة فى الاندماج فى المجتمع، ويصر الأطفال فى هذه السن على قضاء احتياجاتـــهم بأنفسهم، وبوسعهم تقديم الاقتراحات وأخذ القرارات بما يتلاءم ونموهم النفسى كما أنـــهم يميلون للمسائل السياسية والظواهر الطبيعية والأنشطة الاجتماعية، ويقرءون الجرائد ويسمعون نشرات الأخبار ويشتركون فى المناقشات .

ولا يجب أن نغفل ميول الأطفال للألعاب الرياضية واللعب، فالتلاميذ ابتداء من السنة الخامسة الابتدائية، يعرفون أسماء اللاعبين ويتحدثون بحماس عن فريقهم المحبب وعن فوزه وهزيمته، وكأنه فوزهم أو هزيمتهم هم شخصيا.

وتـــهتم بنات الإعدادى بمظهرهن،وطريقة وأسلوب كلامهن .

ومن واجب مدارسنا أن تنمى ميول التلاميذ وشخصيتهم حسب كل مرحلة وكل سن، وأن يراعى هذا فى المناهج التعليمية.

كما يجب على المدرس أن يوقظ الميول النافعة،وأن يشجع الميول الشخصية ذات الفائدة .

وعلينا أن نرعى الميول تربويا ، ولا يصح أن نقف فى طريق ميول التلاميذ ونتجاهلها .

وهكذا ومما سبق نجد أن الميول ممكن أن توجه الشخصية لفرع معين من فروع الحياة كالميول الفنية أو الرياضية مثلا، وأحيانا نجد أن الفرد يشبع ميوله دون أن يمارسها كالذى يحب الرياضة مثلا ويشجعها ولا يمارسها .. أو الذى يحب سماع الموسيقى ولكن لا يتجه لعزفها.

ونجد فى المجال الدراسى وهو ما يهمنا فى هذا الصدد أن ميول التلميذ أحيانا تكون لمواد معينة دون غيرها .. فنجده يهمل إحدى المواد لأنه لا يميل لدراستها . وهنا يجب على المدرس أن يقنع التلميذ بأهمية كل مادة بالنسبة للمواد الأخرى من جهة ، ومن جهة أخرى بالنسبة لمستقبل عمله .. ومن واجباته أيضاً أن يقدم الدرس بطريقة تجذب التلميذ وتنمى عنده الميول لحب كل المواد .

ولكن حينما يكبر التلميذ ويصل لمرحلته الثانوية يجب أن نراعى ميوله سواء الأدبية أو العلمية والتى يجب عدم تجاهلها .. فالمجال الذي يرغب أن يدرسه، ويجد نفسه فيه لابد أن ننميه حتى نحصل على النتيجة المرجوة منه .

ويؤكد "أنجلس وتالمان" عالما النفس وكثيرون غيرهما إن الميول على اختلافها لا يمكن الاستغناء عنها فى نمو الشخصية، وأن توجيه وقت الفراغ توجيها صحيحا يؤدى لنمو الميول والاهتمامات أكثر.

ويقول "جوركس" إن تشجيع الميول ليس فقط من مهام المدرسة، وإنما يجب أن يكون للمنـــزل والمنظمات الطلابية والشبابية دور فيه. إن التلميذ ذو الميول المحدودة تكون معرفته محدودة ، أما التلميذ ذو الميول العديدة والمتنوعة يكون نشاطه واسعا.

وفى كل الأحوال يجب أن ندعم الميول تربويا حتى لا يكون التلاميذ سطحيين ، فالميول تحدد النشاط الاجتماعى بصفة عامة ، كما أنـــها تحدد الاتجاه الرئيسى للشخصية .

ويجب أن يكون الشخص غير متقلب فى ميوله لحد ما ، فالأشخاص الذين تكون ميولهم غير ثابتة ومتغيرة ، لا يصل عملهم إلى نجاح ذى قيمة ، ويجب أن تكون الميول ذات فاعلية، وأن يعمل الإنسان فى مجال نشاط يتناسب وإمكانياته.

ملحوظة : هناك ميول بناءة وأخرى هدامة أو غير صحية وهذه يجب التصدى لها.. كميل الطفل للمغامرة فى شتى صورها مما قد يعرضه أحيانا للمخاطر، وأحيانا ميله للمفاخرة والتظاهر مما يجعله يكذب أو يسرق مثلا.

- كذلك من الممكن أن نقابل أطفالا لا توجد لديهم ميول إطلاقا، ويتميزون باتجاه المحايدة نحو كل شىء .. وهؤلاء من السهل انقيادهم للجناح أو السلوك غير الاجتماعى. أما إذا أحب الطفل صديقا له ، أو أعجب بأمه أو مدرسته، فإن احتمال انحداره لأساليب السلوك غير الاجتماعية يكون بعيداً لأن الحب والمشاعر ستقف حائلا دون ذلك .

* * *

المهـــارات

فى أحيان كثيرة نصف شخصا معينا بأنه ماهر فى القيام بالعمل الفلانى.. أى يمتلك مهارة معينة تميزه عن غيره .. فماذا نعنى بالمهارات وما علاقتها بالنضج؟! .. وهل يمكن لأى إنسان أن يمتلك المهارات التى يريدها وينميها ؟

المهارات هى سلوك مكتسب وأساسها هو التدريب .. وهى قابلة للتطور وتخص أناسا دون غيرهم .

ولكى تنمو خاصة أو مهارة لابد من عامل النضج الذي يمكن الشخص من القيام بـــهذه المهارة ، ثم نتناولها بالتمرين والتعلم فى الوقت الملائم وإلا فإنـــها لا يتاح لها أن تصل إلى نـــهاية نـــموها الطبيعى .

وتختلف قدرات الشخص عن غيره.. إذ إنـــها ليست على درجة واحدة بالنسبة لكل فروع الحياة . الأمر الذي يجعله يتميز بأشياء عن غيرها .

وأساس المهارات هو التدريب.. فالشخص الذي يكتب فى موضوع ما، وتكون عنده مهارة فى الكتابة اليدوية. نجده يكتب بطريقة أوتوماتيكية رغم أن انتباهه مركز على محتوى النص . وتكتسب المهارة الأوتوماتيكية غالبا عبر السنين عن طريق التكرار والتمرين . إذن فالمهارات هى سلوك مكتسب وهى جزء أساسى للنشاط .

وغالبا ما تظهر المهارات فى مجال التفكير والملاحظة والأعمال اليدوية.

والمهارات قابلة للتطور.فالرجل الماهر مثلا فى الكتابة على الآلة الكاتبة يمكن أن يطور مهارته ليكتب على الكهربائية،ثم يكتب على الكمبيوتر..إلخ

ملحوظة :

بعض الناس يخلط بين العادات والمهارات .. ولكن فى الحقيقة هناك فرق بين الاثنتين :

فالعادة هى حاجة الانسان لأداء سلوك معين ، وإذا امتنع عن أدائه تصبح لديه أحاسيس سلبية .. أى أن هناك أيضاً عادات إيجابية وأخرى سلبية .والعادات الإيجابية هى التى تخدم البدن والنفس وتطابق المعايير الاجتماعية ، وما دون ذلك فيطلق عليها عادات سلبية.

أما المهارة فهى تكتسب بالتجربة والتمرين وتخص أناسا دون غيرهم.

ولذا فى مجالنا هنا يجب أن نساعد التلميذ على تنمية مهاراته إذا كان يتمتع بإحداها وخاصة إذا كانت ستفيده فى مجال الدراسة أو فى حياته المستقبلية .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثانى
الثواب والعقاب فى التربية

البعض منا يعتقد أن التربية تتمثل فى العقاب والثواب للطفل.. والحقيقة أن التربية قضية شديدة التعقيد وتتداخل فيها عشرات العوامل والظروف لما سبق وقلنا، والثواب والعقاب مجرد جزء من هذه القضية، وقد آن الأوان لإصلاح بعض المفاهيم الخاطئة فى الطريقة التربوية للنشىء وخاصة فى تطبيق الثواب والعقاب لأن التطبيقات الخاطئة فى هذا المجال والتى يبدو معها الثواب شكلا من أشكال التدليل وربط الأعمال الإيجابية بالمكاسب التى يحققها الطالب من ورائها وليس بقيمتها الذاتية ـ وبدا معها العقاب شكلا من أشكال الانتقام أو تنفيس الغضب. وكل ذلك لا يمكن أن ينسجم مع هدف تأهيل التربية بمنهجها الاسلامى ولا مع متطلبات التربية المعاصرة وحاجة المستقبل لشخصيات فعالة ، قادرة ، تتسم بالثقة بالنفس والقدرة على الإنجاز والانتماء للعقيدة والوطن .

لذا يجب على التربويين ألا يغفلوا دور الثواب كحافز أساسى للتعديل السلوكى .

كما يجب التدرج فى الثواب والعقاب بشكل يتناسب مع حجم ونوع السلوك الإيجابى والسلبى ومراعاة الظروف الشخصية والفروق الفردية والعدالة الكاملة فى الثواب والعقاب وإدراك الطالب التام لأسباب إثابته أو عقابه .

وبعد أن تناولنا فى الصفحات السابقة تعريفا وتوضيحا لماهية التربية. سنتناول أيضا دور الثواب والعقاب في هذا الجانب

وخاصة العقاب المدرسى والذى يبالغ فيه بعض المعلمين بالعقاب البدنى أو المعاملة القاسية التى بـــها كثير من الظلم والتى تنفر الطفل من المدرسة والدراسة معتقدين أن هذا فى صالح الطفل.. وقد قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ (آل عمران ١٥٩).

وجاء فى الحديث القدسي الطويل الذي رواه أبو ذر الغفاري عن الرسول ﷺيوجه المولى الخطاب الحاسم لعباده فيقول تعالى: " يا عبادي.. إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا". رواه مسلم

وبالطبع نفى صفة الظلم عن الله تعالى لا يرتبط بالظلم فى العقاب وحده.. وإنما أيضاً فى الثواب.. فعنده سبحانه لا تضيع الأعمال الصالحة أبداً بل يضاعف لها الثواب فيقول عز وجل ﴿ **إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ﴾(الكهف٣)

كما يقول : ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** ﴾ (الشورى ٤٠)

وقد قال الرسولﷺ موجهاً توجيهاته لأمة المسلمين:

عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: قال رسول اللهﷺ: " إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله ـ وإنما يرحم الله من عباده الرحماء"

- **لكن لماذا نعاقب الطفل؟ وهل لابد من ذلك؟**

بالطبع إذا استرسلنا فى أسباب معاقبتنا للطفل لكتبنا الكثير والكثير، وذلك لتعدد الحالات والأحوال التى يعاقب فيها الكبار صغارهم، لكن من الممكن أن نسرد بعضا منها، وهى الحالات الشائعة التى يعاقب الطفل بسببها.

فمثلا " الشقاوة " وهى تلك الحيوية المتدفقة والحركة الدائبة التى لا تكاد تتوقف بالنسبة للصغار والتى يرافقها شيئاً من

الإزعاج، وتكسير بعض الأشياء وإقامة معارك صغيرة بين الأطفال وبعضهم البعض مما يجعل الأمهات دائمات الشكوى من أطفالهن الذين لا يهمدون ولا يجلسون لحظة منذ استيقاظهم وحتى نومهم وكل ذلك يتطلب فى نظر المربين " العقاب" لحمل الصغار على الكف عن "شيطنتهم" وبـــهذا يقع الكبار في خطأ ووهم كبيرين.

الخطأ هنا الذى يقع فيه الكبار يكون لإساءة الظن بتلك "الشقاوة"، واعتبارها ظاهرة سلبية تعبر عن سوء الأدب، وقلة التربية.

أما الوهم فهو بتصورهم أن الطفل سيكف عن حيويته وحركته ونشاطاته بعقابه.

وبالتالى يبدأون فى وضع الأنظمة المحكمة من القيود لتطارد الطفل من البيت للمدرسة وبالعكس.

والحقيقة التى تغيب عن البعض أن الأمر الذي يحدث هو أمر عادى تماما.. حيث إن الحيوية والحركة ظاهرة إيجابية وصحية فى نمو الطفل.. وهى ظاهرة طبيعية بحكم مراحل النمو التى يمر بـــها.

فمثلا عندما يتخطى الطفل سنتى المهد ويرتقى إلى مرحلة الطفولة المبكرة، لابد من أن يجرب مكتسباته من النمو.. مع التغيير والاتساع الحادث فى إمكانيات جسمه والذى ينمو بسرعة فى تلك المرحلة.. فنجد أن عضلاته تنمو ويصبح معها مستعداً للقفز والجرى وتسلق الأشياء وتتحول حياته بكاملها إلى اللعب والنشاط الجدى ويكاد يستغرق معظم الوقت فى هذا ونجده يستقل نسبيا عن اعتماده المطلق على من حوله.

أما إذا نظرنا للطفل فيما بعد ذلك، وفى المرحلة التى يطلق عليها الطفولة المتوسطة أو المتأخرة وهى من سن ٦:١٢سنة، والتى يضج منها الآباء والمعلمون من شقاوته.. فنجد أننا بصدد

ملمح مميز يتمثل فى التباطؤ التدريجى للنمو الجسمى مع زيادة طاقة الطفل مما يدفعه دفعا إلى التوائب والتقافز والضجيج واللعب بشكل يبدو لا نـــهاية له.. وسط دهشتنا نحن الكبار حول مصدر هذه "الشقاوة" و "الشيطنة" كما يطلقون.. ومن هنا يلقى الطفل مقابلها ضروبا شتى من العقاب.. بينما فى الحقيقة هو لا يستحق هذا لأن ما يقوم به يعد طبيعيا مائة فى المائة وعدا ذلك فهو غير الطبيعى.

ونجد بعض الأمهات أو المعلمات يتباهين ويثنين أحيانا على طفل هادئ مطيع لا يعترض ولا يتشاجر مع أقرانه ويجلس فى مكانه دوما لا يبرحه.. ولكن مالا يعلمنه أن هذا الطفل ليس بالطفل المثالى الذى يجب أن تتحسر الأمهات لأن أطفالهن ليسوا على شاكلته لأن شقاوة الأبناء وضجيجهم ظاهرة صحية وليست علامة مرضية، ولا تدل على عدم الأدب أو سوء التربية إطلاقا لأن هذا الأمر لايتعمده الصغار، ولكنه أحد مظاهر نموهم، فضلا عن إمكانية توظيف هذا لصالح نموهم الجسمي والعقلى والانفعالي والاجتماعى.. فعلام نعاقبهم إذن؟

وهنا تتساءل الأمهات وما الحل؟ هل نتركهم هكذا على فطرتهم دون عقاب أو توجيه؟

لا.. بالطبع يجب أن ننصح ونرشد ونحاول تحقيق نوع من الانضباط ولكن غير الحديدى، فمن الممكن أن نوجه هذه الحيوية لاتجاهات نافعة كلعب الرياضة مثلا.. ولكن فى كل الأحوال لابد أن نسمح بـــهذه "الشقاوة"، وأن نعذرهم عليها- فكما قلنا هم لا يتعمدون هذه التصرفات- ويجب ألا نتخذها مبرراً لإرواء غيظنا وتنفيس غضبنا.

ولكن هناك أمراً يجب ألا نتهاون فيه، وهو أن يتلفظ الطفل مثلا ألفاظا نابية يكون قد سمعها من الشارع أو غيره أو يقوم

بأفعال عدوانية مبالغ فيها تجاه الآخرين مثلا، هنا لابد من وقفة وتوجيه وعقاب ولكن غير مبالغ فيه أيضا، أى يكون على قدر الفعل مع التوجيه والنصح.

وفى حالات كثيرة نجد أن الكبار يعاقبون أطفالهم لعدم تحصيلهم الدراسى وتدنى نتائجهم ويرهقونـــهم بمقارنتهم بذويهم الأكثر تفوقا وهذا الأمر لا يبدو مقبولا ولا منطقيا ولا عادلا إذا كان التقصير لأسباب خارجة عن إرادة الطفل كالعوامل الوراثية وإمكانياته العقلية مثلا، أو عدم الاستيعاب والمناهج غير المناسبة له أحيانا ..

أما إذا كان التأخير بسبب إهماله أو عدم تنظيمه لوقته أو لامبالاته فيكون الطفل مسئولا عن ذلك ويجب توجيهه التوجيه المناسب.

ومن هنا نجد أن الطفل غير مسئول عن الأسباب النفسية والاجتماعية والعقلية التى تتسبب فى تأخره الدراسى، وسنوضح سبل العلاج فيما بعد.. ومن هنا أيضاً نصل إلى نتيجة مهمة، وهى أن المربى الدائم العقاب سواء كان أحد الأبوين أو أحد المعلمين هو إنسان يعلن إفلاسه ولا يملك من الأساليب التربوية ما يؤهله لتوجيه الصغار، حيث اختار طريقا سهلا قصيراً غير مضمون النتائج متجنبا الطريق الطويل الشاق المضمون النتائج والمضمون العواقب .

وسنتناول فى الصفحات التالية العقاب والثواب وكيفية ممارستهما حتى يأتيا بالنتائج المرجوة حسب رؤية علماء النفس والتربية ولتكن لنا وقفة مع كل منهما.

أولاً : العقـــاب

تتعدد الحالات وتتفاوت درجات العقاب بحسب المعاقب ومن يعاقب، وبحسب الفعل الذى قام به الطفل.. ونحن لا نرفض العقاب كوسيلة تربوية ولكن نرفض فى بعض الأحيان طريقة القيام به.. فنجد البعض يبالغ فيه، وبالتالى يكون رد فعل المُعاقب أكثر بكثير مما قام به الطفل.. وفى أحيان أخرى يكون رد فعل المعاقب أقل كثيراً عما قام به الطفل..

وللأسف غالبا ما يأتى العقاب حسب حالة المُعاقب النفسية، وهذا كثير ما يضر بالطفل ويجعله مضطرباً.. ومن الواجب ألا تؤثر نفسية المعاقب كالأم مثلا على عقابـــها لأبنائها.. فإذا كانت سعيدة لا تلقى بالا لما يفعلون وتتغاضى عن أشياء كثيرة يستحق عليها الأطفال العقاب .. وإذا كانت متضايقة أو مكتئبة ينعكس ذلك على عقابـــها لهم.. فتعاقبهم أحيانا بصورة مبالغ فيها على أشياء تافهة لا تستحق مما يجعل الأبناء فى حالة تخبط واضطراب .. فمن الخطأ أن يحدث هذا لأن هناك أموراً تربوية يجب أن يأخذ العقاب فيها الشكل الصحيح وإلا أتى بنتائج عكسية وهذا سنتركه لمجال آخر سنطرقه قريبا.. ولكن ما يهمنا الآن هو العقاب المدرسى أو الذى يأتى من أجل الدراسة والمذاكرة والذى يكون الطفل إما مسئول عنه ، وإما غير مسئول وخارج عن إرادته كما قلنا من قبل.

- **التقصير الدراسى الناتج عن أسباب خارجة عن مسئولية الطفل وإرادته:**

هذا التقصير الذى يصحبه تأخر الطفل فى أحيان كثيرة قد يكون ناتجاً عن عدة عوامل منها:

١- **الوراثة:** تتعلق الناحية الوراثية بالذكاء بصفة عامة، والقدرات العقلية.. إذ إن نسبة كبيرة من الأطفال لا يتعدى ذكاؤهم العام المتوسط ومعظم المناهج الدراسية تصاغ لتناسب المتوسطين فى القدرة الاستيعابية فيما فوق.. ومن الطبيعى أن يجد من هم دون ذلك صعوبة فى متابعة الدراسة وتحقيق النتائج المرجوة.. وسنتناول هذا بالتفصيل فيما بعد فى الفصل التالى .

٢- القدرات العقلية المتنوعة:

يضم العقل البشرى العديد من هذه القدرات المتنوعة والتى لا تكون على نفس الدرجة من القوة، فنجد مثلا البعض لديه استيعاب القدرة العددية أو الميكانيكية بسهولة ، والبعض الآخر يميل ناحية استيعاب المواد العلمية أو اللغوية أو الأدبية، وينعكس هذا بالطبع على حبه للمواد الدراسية ذات العلاقة بـــهذه القدرات.

٣- القصور فى العمليات العقلية:

قد يعانى الطفل من قصور فى العمليات الادراكية والانتباه والتذكر والتركيز... إلخ .

وهذا ما قد لا ينتبه إليه الطفل أو المحيطون به، والذى قد يؤثر على مستواه الدراسى سلبا دونا عنه .

٤- أسباب اجتماعية بيئية أو نفسية أو انفعالية:

وتنشأ هذه الأسباب غالباً بسبب من يعايشهم الطفل، سواء كانوا أهله أو أقاربه أو جيرانه ، فنجد مثلا الأسرة المتصدعة وما تتعرض له من كوارث أو أحداث .. قسوة المعلمين أحيانا.. فشل الآباء فى تحقيق آمالهم وسعيهم ليحققها الأبناء ولو قسراً .. سخرية بعض المقربين من الطفل ، أو حمايته الزائدة من أهله وذويه.. تفضيل الوالدين طفلا على الآخر.. شجار الوالدين

وإهمال الطفل.. تأخر النضج الانفعالى والاضطرابات النفسية المتنوعة وما شابه ذلك .. كل هذه العوامل مجتمعة أو منفصلة من الممكن أن تؤدى للتخلف الدراسى للطفل.

* * *

كيفية العلاج

لقد تفهمنا أن هناك أسبابا لفشل الطفل فى الدراسة. وعدم تحصيله - وقد ذكرنا بعضها- لا يمكن اعتباره مسئولا عنها كالفطرة العقلية مثلا فهو ليس مسئولا عن فطرته العقلية التى فطره الله سبحانه وتعالى عليها.. والظروف الاجتماعية السيئة التى تحيط به: وهو أيضا ليس مسئولا عنها..

وبالتالى فعقابه يكون بلا داع ولا سبب لأن ما يحدث هو ضحية فيه، ويحدث دون إرادته، ويجب أن نسعى لعلاج العوامل المؤثرة عليه نفسيا واجتماعيا وحصارها والوقوف على مضاعفاتها فهى ما نستطيع وإلى حد كبير أن نتدخل فيها بالتغيير والتحسين .

أما التأخر الدراسى الناتج عن العوامل العقلية.. فالتدخل فيه غالبا ما يكون محدودا. صحيح أن العلماء المعاصرين يذهبون لإمكانية تحسين الذكاء، ولكنهم يؤكدون فى الوقت نفسه على أن المساحة المتاحة للتحسين ضيقة.. فمن الصعب أن يتحول الغبى أو متوسط الذكاء لشريحة أعلى بسهولة.. ولكن علينا أن نأخذ بيده ونضاعف الجهد معه ونوفر له ظروفا بيئية أفضل وألا نشعره بالنقص أو الدونية وألا نحمله ما لا تطيقه قدراته المتواضعة .. بل نبحث معه وداخله عن نقطة مضيئة نستثمرها لصالحه.. أما أن نعاقبه لتواضع قدراته فهذا أمر مرفوض، ومن الممكن أن يعقد المشكلة أكثر.

كما أنه لا يجب أن نعاقب أطفالنا عن اضطراباتهم النفسية أو الانفعالية مثل الخوف والغيرة والحركات اللاإرادية التى تتم عن طريق

الفم أو العينين أو الأكتاف ... إلخ.. ولكن لابد من البحث عن العلاج عند المتخصصين حتى لا نؤدى لنتائج غير مضمونة العواقب .

وأخيراً.. لابد أن يكون العقاب مناسبا للفعل فلا نبالغ فيه على أى حال .. وأفضل توقيت للعقاب هو الوقت الذى يعقب الفعل مباشرة، فكلما كان فوريا ترك أثره التربوى على الطفل.

* * *

الثـــــواب

إن للثواب أهمية كبرى فى عمليات التنشئة الاجتماعية بصفة عامة وفى عمليات التربية والتعليم بصفة خاصة.. فغالبا ما يرافق الثواب ارتفاع الحالة المعنوية للطفل، وتزداد درجة ثقته بنفسه ويدفع لبذل مزيد من الجهد للوصول من جديد لمواقف وإنجازات ونجاحات تؤدى دوما للثواب. ويكون إهمال هذه الجزئية من جانب الوالدين أو المعلمين أمراً يعكس غيبة المفاهيم التربوية الصحيحة.. وقد قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (٣٠الكهف).

و﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ (٨٩ النمل).

- **ما التوقيت المناسب للثواب؟**

تؤكد الدراسات الحديثة لعلوم النفس والتربية أن أفضل توقيت للثواب هو الوقت الذى يعقب الفعل مباشرة.. ففى هذا الوقت تحدث الآثار القصوى التى نريد تحقيقها من خلاله.

- **متى نثيب الطفل ؟**

لا يمكن بالطبع أن نستخدم هذا فى كل ما يقوم به الطفل من أعمال، ولكن هناك نوعا من الأعمال يؤديها على مدى زمنى طويل وتحتاج منه لمجهودات متواصلة كالإنجاز الدراسى مثلاً..

ويكون الثواب هنا آجلا لأن هذا يتطلب وقتا، ولأن الطفل يبذل فيه جهداً مخلصا وحقيقياً، ويحقق هذه الإنجازات قبل أن يحصل على الثواب.. ولكن من الممكن أن نشجعه بكلمات المديح والثناء واستحسان سعيه نحو الهدف ـ وهو فى هذه الحالة "التفوق"ـ الذى لابد من تحقيقه للحصول على الثواب.

- **شكل الثواب:**

قسم علماء التربية الثواب لقسمين:

الثواب المادى: يتمثل فى الجوائز والهدايا والنقود والألعاب والملابس الجديدة وما إلى ذلك.

الثواب المعنوى: يتمثل فى كلمات الثناء والإطراء والتصفيق إلى وضع علامات معينة فى الكراسات ـ كالنجوم والصور الملونة وكلمات التقدير والشكر ـ ومن الممكن منح شهادات التقدير والتفوق ، كل هذا يفيد فى رفع معنويات الطفل ومساعدته على الوصول لما نريده منه.

- **ما النقاط التى يجب اتباعها حتى يترك الثواب أثره الفعال على الطفل؟**

١- لابد أن يتناسب الثواب مع ما يقوم به الطفل وأن يسهم فى إشباع حاجاته المادية أو النفسية.. فمثلا لو طفل متفوق موسيقيا أهديه آلة موسيقية مثلاً ولا يجب أن أهديه كرة.. كذلك ليس من المعقول أن أهدى لطفل ملابس قديمة مثلا، بل يجب أن تكون جديدة وجميلة.. وهكذا حتى يقوم الثواب بالدور المنوط به.

٢- ينبغى أن ينظر المعلم للفروق الفردية بين الأطفال واختلاف مستوياتـــهم الاقتصادية والاجتماعية ويتتبع تصرفات الأطفال فإذا وجد من بينهم من يجنح للعزلة أومن يشعر بالاضطهاد أومن هو فى حالة معنوية مزرية.. هنا تأتى الفرصة لتقليص

معاناة الأطفال الداخلية بـــهذه الإثابة، حيث يجعل أقرانـــهم يصفقون لهم مثلاً إذا أجاب أحدهم إجابة صحيحة أو يقدمون لهم الهدايا البسيطة فى أعياد ميلادهم... إلخ.

٣- طريقة الثواب لابد أن تختلف من طفل لآخر حسب طبيعته.. فمثلا بعض الأطفال.. ينتشون لكلمات الإعجاب والإطراء، وهناك من لا يهتم بـــهذا . كما أن هناك أيضا من يفرح بقلم هدية أو نزهة قصيرة.. وعلى الجانب الآخر يقف المتخم بكل ما يريد وما لايريد .. فتعجز الجوائز عن الإعمال فيه.

٤- عدم الإفراط فى الثواب المادى إلا إذا صادف حاجة ملحة لدى الطفل أو أسهم مثلا فى تنمية مواهبه وقدراته..والأجدى غالبا الثواب المعنوى.

٥- أشكال الثواب المعنوى لابد أن تتنوع حتى يكون لها بريق دوما.. فهناك الشكل التذكارى الموثق للثواب والذى يدوم أثره ربما لباقى العمر كشهادات التقدير أو الميداليات أو الكئوس والصور التذكارية والوثائق أو أرواب التخرج وكل هذا تصاحبه دائما ذكريات جميلة للشخص ويتذكرها باستمرار، ويتذكر المواقف والأحداث التى رافقت حصوله عليها، ويظل يحكيها بين الحين والآخر مما يذكره دائما بتفوقه.

ملحوظة : هناك بعض المحاذير التى تجب مراعاتها عند الثواب فى التربية حتى لا تترسخ في نفس الطفل وتؤدى لنتائج عكسية منها:

أ- اعتبار الثواب بمثابة رشوة

- **هل الثواب فى بعض الأحيان يصبح بمثابة رشوة للطفل ؟**

يخطئ الكثيرون من الآباء والأمهات والمعلمين فى إسرافهم فى وعودهم المتكررة للطفل لدرجة أنه لا يقوم بالتزاماته العادية أو تصرفاته الطبيعية ـ كإنجاز واجباته المدرسية مثلا، أو التوقف عن الصراخ أو تناول الطعام ـ إلا إذا حصل على الثمن المقابل لذلك.

وإذا تكرر هذا السلوك دوما يصبح بمثابة رشوة نقدمها للطفل لنضمن قيامه بالسلوك الطيب أو توقفه عن السلوك المعيب.. وهكذا تفقد الأعمال فى نظره قيمتها الذاتية وتتحدد قيمتها بما يجنيه من ربح بسببها.. وبالتالى يكون التطور المنطقى أن يفقد الطفل حماسه إذا ما توقفت الرشوة أو خفضت .. والخطورة تكمن فى أنه لو شب على ذلك فستعمم هذه الخبرة على كل المواقف الحياتية مستقبلا، ويلجأ دائما بالوسائل السلوكية العكسية للضغط على والديه لكى يحصل على ما يريد.

- **إذن ما المطلوب منا لنقوّم ذلك؟**

المطلوب أننا ونحن بصدد تعزيز السلوكيات الإيجابية للطفل أن نغرس قيمتها الذاتية فيه بمعنى أننا نوضح له مثلا أثر سلوكه الطيب على المحيطين به بأن نقول له أن هذا يرضى الله أولا ثم الناس، أو هذا سيفرح والديه أو معلمه حتى تزيد ثقته بنفسه ويرضى عنها.. وبذلك يكف تدريجيا عن السلوك السلبى لأنه خطأ فى حد ذاته وليس لما يحصل عليه.

لكن أيضا.. هناك شىء مهم يجب أن نضعه نصب أعيننا وهو مراعاة سن الطفل وظروفه حين نحاول غرس قيمة معينة فى نفسه.. فمثلا إذا كان الطفل فى سن صغيرة لا يجب أن نسرف فى الحكى له عن عقاب الله للمخطئ حتى لا يصاب الطفل بالتوجس والخيفة من أمور لا يستطيع إدراكها فى عمره هذا.. ودائما نقول بشروا ولا تنفروا لأن هذا من الممكن أن يؤدى لنتائج عكسية وعقد من نوع جديد.. ولا يجب مثلا أن نـــهدده بأنه إذا لم يلتزم بهذا السلوك سيفقد حبنا له وتدليله- وأعتقد أن هذا أبسط ما نقوله للطفل- ولو تدرى كل أم أو معلمة ما يدور بخلد الطفل ما قالت له ذلك أبدا لأن هذا من الممكن أن يشعره بعدم الأمان الداخلى ويؤدى لنتائج وخيمة لأن الطفل حينئذ سيتخبط فيما سيفعل

خوفا من فقد الحب المحيط به والذى يمثل له فى هذه السن الصغيرة الأمان. وهكذا.. وخير الأمور الوسط فى كل شىء.

- **لكن ما الطريقة المثلى لإثابة الطفل والتى تحقق ما نرجوه من السلوك الطيب؟**

الطريقة المثلى فى ذلك أنه لا مانع حين يبذل الطفل جهداً مخلصاً فى اتجاه عمل ما ويدرك أنه قام به لأنه عمل طيب ويرضى عنه الجميع أن نقول كلمة إطراء أو نمده بقطعة حلوى أو هدية رمزية تناسبه.. ولكن لانبالغ فى ذلك.

- **وماذا لو تحول الأمر عنده لانتظار ثمن ما يقوم به؟**

فى هذه الحالة لابد من وقفة تعيد الأمور لنصابـــها وموقعها الصحيح حسب حالة كل طفل وبطريقة تربوية سليمة حتى لا نخرج بالثواب عن الإطار التربوى وعن الوظيفة التحفيزية التى ينبغى أن يلعبها.

ب- الثواب والغرور:

- **هل من الممكن أن تؤدى إثابتنا الطفل للغرور؟**

نعم ، بالفعل ممكن أن تؤدى لغروره.. فعلى الرغم من الأهمية القصوى للثواب فى تربية أطفالنا إلا أن استخدامه فى التربية يجب أن يكون بحذر وبحساب حتى لا نفسد بإسرافنا ومبالغتنا فى الثواب والإطراء والإشادة أولئك المتفوقين والمبدعين والموهوبين الذين يفسدون بسبب المبالغة فى التدليل بكافة أشكال الثواب المادى والمعنوى الذى يتصاعد ويتسابق الكثيرون إليه فيتسلل خيفة لداخل هذا المتفوق الشعور بأنه يختلف عن ذويه وأنه مميز عن البشر ويتضخم هذا الاحساس بداخله فيخطئ فى تقديره لذاته.. ويبدو هذا واضحا بالنسبة لمن يحققون إنجازات رياضية وفنية بصورة خاصة.

أما فى حالات التفوق الدراسى، فنجد أطفالا وناشئين يصابون بالهلع والذعر إذا انخفضت درجاتهم ولو قليلا عن النهايات العظمى وذلك لإحساسهم بأنهم لابد أن يكونوا أفضل من الآخرين.

وقد تظهر هذه الأعراض أيضاً على الوالدين، حيث الاعتزاز بأبنائهم وبناتهم فيكثرون من الإشادة بهم وإطرائهم أمام الآخرين وتمييزهم بالهدايا والمعاملة المبالغ فيها .. فنجد مثلا أما تذهب للمدرسة وتثير ضجة لأن ابنها هبطت درجاته درجة أو درجتين، وفى هذه الحالة نجد الطفل فخوراً وسعيداً بما تفعله أمه ويصل لأسماع أقرانه ويقف بينهم مغروراً.. وهذا له خلفياته النفسية على المدى الزمنى البعيد.. ويقف على الجانب الآخر الأب الذى فشل فى حياته من قبل فيحاول أن يحقق نجاحاته، من خلال ابنه دون النظر لإمكانيات هذا الطفل العقلية والنفسية، فيظل يثقله بالرشاوى والإكراميات ليحقق النجاح الذى يرجوه دون أن يعلم أنه يفسده بذلك، وأن هناك طرقا تربوية لابد من مراعاتها ليكون الطفل سويا مستقبلا.

جـ- الثواب والتنافس:

- **هل يدخل التنافس في مجال التحصيل الدراسى؟ وما الدور المنوط بالثواب هنا؟**

الكثير من النشاطات الإنسانية ذات الطابع التنافسى كالرياضة والفنون وغيرهما يكون للثواب أثر كبير فى تحقيقها.. ويدخل التنافس إلى مجال التحصيل الدراسى أيضا.. وبالتالى يدخل كل بيت بإرادة الوالدين وأحيانا بدون إرادتهم .. وعلى الرغم من تشجيعنا للتنافس الشريف الذى يعطى أفضل النتائج، إلا أن هناك التنافس المقيت المزعج الذى يتحول إلى هدف بحد ذاته..

وهذا التنافس غالبا ما يتم بين أفراد متفاوتين فى قدراتـــهم وإمكانياتـــهم فيكون التنافس غير عادل، وبالتالى الثواب المترتب عليه ظالما ومحبطا للكثيرين..ومن هنا لكى يظل الثواب فى إطاره التربوى لابد أن يتم بين أفراد من نفس الأعمار ومتقاربين فى إمكانياتـــهم وقدراتـــهم.

ولكن ومالا يلاحظه البعض هو مدى المعاناة التى يشعر بـــها من لم يثابوا.. ومن الطبيعى ألا يحصل الجميع على الثواب.. وغالبا ما يحصل عليه الأقلية.. ولكن ماذا عن الأكثرية؟

غالباً ما يشعر الذين لم يثابوا بشكل من أشكال الإحباط والغيرة، بل إن البعض يشعر بأن حصول غيره على جائزة مثلا هو نوع من أنواع العقاب بالنسبة له وخاصة إذا كان متفوقاً.. ويجب على القائمين على أمر الثواب مراعاة ذلك الأمر بمحاولة تخفيف الآثار الواقعة عليهم بتشجيعهم ولو بالكلمات ودفعهم للأمام ليصلوا كما وصل غيرهم وخاصة إذا كان عندهم استعداد..وأن يوجهوا الفائز بعدم التعالى على أقرانه ومكايدتـــهم بفوزه... إلخ.

• وماذا عن المتحسنين نسبيا وغير المتفوقين ولكنهم يسعون؟

ينبغى أن نمدهم باهتماماتنا أيضاً ونحمسهم للتفوق.. فالطفل الذى حصل على درجات منخفضة فى إحدى المواد، ثم تقدم فيها بعد ذلك فى الاختبار التالى محققا درجات عالية.. أو كان قد رسب فى إحدى المواد ثم سرعان ما استوعب الموقف واجتهد ونال نجاحا.. لابد من إثابته على قدر مجهوداته تعزيزاً لسعيه نحو الأفضل ودرءاً لإحباطاته السابقة .

وفى النهاية ومما سبق تتضح الأهمية الكبرى للثواب فى عمليات التنشئة الاجتماعية بصفة عامة، وفى عمليات التربية والتعليم بصفة

خاصة.. ويكون إهمال هذا الجانب من الأبوين أو المعلمين له أكبر آثاره السيئة على النشء..

وقد قال الله تعالى:﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾

(النمل ٨٩)

وقال أيضاً : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴾

(الزلزلة)

وأخيراً: وبعد أن استعرضنا العقاب والثواب فى التربية كل على حدة يمكن القول أن أساتذة التربية المعاصرين اتفقوا على أن الثواب يسهم فى إشباع حاجات أساسية لدى الإنسان، كالحاجة إلى تقدير الذات أو توكيدها والحاجة أيضاً إلى التقدير الاجتماعى، كما اتفقوا على مجموعة من الاعتبارات المهمة المتعلقة بالثواب فى التعليم بالمقارنة بالعقاب أهمها:

١- إن أثر الثواب إيجابى فى حين أن أثر العقاب سلبى.

٢- إن أثر الثواب فى التعلم أقوى وأبقى من أثر العقاب ، فالمدح أقوى وأفضل من الذم .

٣- إن أثر الثواب أكثر دواما واستمراراً وتواصلاً من أثر العقاب الذي يكاد أن يكون أثره مؤقتا .

٤- إن أثر الثواب فى الغالب يضمن تكرار وتثبيت السلوك المثاب عنه، بينما لا يضمن العقاب الكف عن السلوك المعاقب عليه.

٥- إن للعقاب إذا لم ينبثق من رؤية تربوية سليمة، نتائج سلبية وقد تكون خطيرة ومدمرة فى مستقبل الفرد بعكس الثواب إذا طبقناه مع مراعاة المحاذير التى سبق وقلناها.

الفصل الثالث
القـدرات العقليـة

العمر العقلى للطفل

عادة ما نصنف الناس فى حياتنا اليومية إلى سويين أو عاديين، وممتازين أو موهوبين ، وضعاف العقول.

والواقع أن أساس هذا التقسيم لا غبار عليه إذ إننا نصنفهم على أساس تكيفهم مع العالم الخارجى بطريقة صحية سليمة وما يتيحه لهم تكوينهم العقلى من أن يسلكوا سلوكاً مستقلاً فى موقف اجتماعى معين بشكل إيجابى فعال ، وهؤلاء ما نطلق عليهم بصفة عامة أناس عاديون .

أما الممتازون فإنـــهم رغما عن صحة تكيفهم مع المجتمع الخارجى إلا أنـــهم يحاولون إجراء بعض التغيير فيه إلى ما يعتقدون أنه أحكم وأصح.. وأولئك هم المسئولون عن الحضارة وتقدم الجنس البشرى.

أما ضعاف العقول أو المتخلفون عقليا فأولئك فئة من المجتمع تحتاج منا لتوجيه خاص ورعاية معينة نظراً لعجزهم عن التوافق معه.

- **والسؤال الملح هنا..**
- **هل يختلف العمر العقلى للطفل عن السنى؟**

لقد لاحظ بعض المعلمين فى المدارس أنه يوجد بعض الأطفال غير قابلين للتعلم بمعنى أن قدراتـــهم على التعلم ضعيفة.. بحيث لا يمكن أن تجدى معهم الأساليب المتبعة مع ذويهم .. ولذا وجب

تحديد العمر العقلى للطفل وليس السنى حتى يمكن الوقوف على مدى استيعابه وما يجب أن نمده به من معلومات وتكون ذات فائدة بالنسبة له.

- **ولكن كيف لنا أن نقيس العمر العقلى للطفل؟**

يتم قياس العمر العقلى للطفل عن طريق اختبارات معينة بأن نأخذ شريحة عمرية معينة كعينة، ونضع لها بعض الأسئلة المناسبة لسنها.. ثم أقل وأكثر.. فمن يجيب عن أسئلة أقل من عمره فسيكون العمر العقلى أقل .. وإذا زاد سيكون عمره العقلى أكبر، وإذا ثبت مستواه فسيكون عمره العقلى مناسباً لعمره السنى وهكذا.

- **وهذا يوصلنا لسؤال مهم أيضا.. ماذا إذا وجدنا من اختباراتنا فرداً يتمتع بنسبة ذكاء معينة، فهل تثبت هذه النسبة فى مختلف سنى حياته ؟**

فى الحقيقة نسبة ذكاء الفرد لا يمكن استخلاصها بشكل دقيق فى مراحل نموه المختلفة، وذلك لأن العوامل الانفعالية وظروف البيئة تؤثر فى سلوكياته وفى الشروط التى يجرى فيها اختبار الذكاء.. فلا توجد ثمة تغيرات فى القدرة العقلية بصفة عامة.. ولذا فالخلاصة أن الذكاء نسبة حيوية قابلة للتغير.

- **إذن ما النسب التى يمكن أن نحدد بها صفات الشريحة العمرية؟**

هذه النسب معروفة لعلماء النفس والاجتماع، حيث يعتبرون ضعاف العقول هم الذين تقل نسبة ذكائهم عن ٦٥٪ وبهذا يكون عمرهم العقلى متأخراً عن عمرهم الزمنى.. ولكن لن يلاحظ أحد ذلك فى طفولتهم المبكرة لأن الفرق لا يكون واضحاً، وكلما زاد نضجهم الجسمى وزاد عمرهم الزمنى نجد أن الفرق بين العمرين أصبح واضح المعالم.. بحيث يمكننا أن نميزهم بسهولة فى سن التاسعة أو العاشرة.

وعلى العكس .. الموهوبون أو العباقرة فإن زيادة أعمارهم الزمنية في مراحل الطفولة المبكرة والمتأخرة قد لا تكون واضحة المعالم، ولكن الفرق بين العمرين قد يبدو واضحا في مرحلة المراهقة وبعدها بقليل يبدو التميز واضحاً جلياً.

وأخيراً.. الذكاء لا يقاس بطريقة مباشرة ولكن تظهر الفروق بين الأفراد في أدائهم لبعض المواقف وقدراتهم الكامنة داخلهم وراء هذا الأداء.

- **ولكن ما قيمة أن نبحث ونقيس مستويات الذكاء عند الأفراد؟**

هناك قيمة مزدوجة لهذا، **أولا:** القيمة التشخيصية وهي تفيد في كشف القدرات الكامنة لدى شخص معين، **ثانيا:** القيمة العملية وهي تفيد في كيفية توجيه هذا الشخص نحو العمل الذي يصلح له وغير ذلك.

أما من الناحية التعليمية ـ وهذا ما يهمنا هنا ـ فيمكن فصل الأطفال الأسوياء عن أولئك الذين يعانون من تخلف في قدراتهم العقلية .

وهذا الفصل يكون في مصلحة الطرفين لأن كما قلنا من قبل المشكلة تكمن أكثر في الضعف العقلي، حيث يحتاج أصحاب هذه الحالة لتوجيه خاص ورعاية معينة نظراً لعجزهم عن التوافق مع المجتمع المحيط بهم.. وهذا التوجيه يشمل أنواعا من التربية والتدريب تختلف عن تلك التي تمنح إلى الأسوياء من الناس.

ومشكلة الضعف العقلي تمثل مشكلة تعليمية كبرى، حيث إن المتخلف عقليا تكون قدرته على التعليم ضعيفة إلى الحد الذي لا يفيد معه النظام التعليمي المعتاد الذي يتبع مع أقرانه الأسوياء وخاصة أنهم لا يتمكنون من التوافق الاجتماعي السليم وحاجتهم للغير والمساعدة الخارجية تكون ملحة ولكن لابد أن يكون الإشراف عليهم على أسس سليمة حتى يمكن أن نصل بهم لمستوى الإنسان العادي أو ما يقارب ذلك.

• **فماذا لو تركناهم على حالهم ؟**

لو تركناهم سيكون فى هذا ضرر علينا وعليهم لأنـــهم لا يميزون بين الشرعى وغيره أو بين الصالح والطالح مما قد يسبب أضراراً لهم وللمحيطين بـــهم وسنتطرق للتخلف العقلى وأسبابه وطبقاته وكيفية مساعدة الأطفال المصابين به بإسهاب وإيضاح لما لذلك الموضوع من أهمية.

* * *

التخلف العقلى

يقول "مللر هجمان" العالم النفسى أن التعبير الدارج "التخلف العقلى" لايدل على عجز فى أجهزة الحس،وإنما يدل على عجز المخ.. ويرجع هذا التخلف بصفة عامة لعدة عوامل إما وراثية أو اجتماعية أو نفسية وأسبابه عديدة ولا حصر لها .

ويمكن التعرف على هذا التخلف فى سن الرضاعة.. ويظهر هذا من أول ضحكة للطفل .. والأطفال المتخلفون يتأخرون فى تعلم الكلام، كما تتأخر عندهم مرحلة اللعب عن الأطفال العاديين لأنـــهم لا يفهمون كيف يلعبون .. فنراهم يلعبون مع من هم أصغر منهم سنا.. ولا تستغرق ألعابـــهم وقتا طويلا.. كما تأخذ ألعابـــهم طابع التكرار، بعكس الطفل السليم الذي يكتشف دائما عن طريق اللعب خواصّ جديدة للأشياء ويكتسب المهارات.

ونجد أن المتخلفين عقليا سريعو الانفعال ويتأثرون بمن حولهم.. لذلك نجدهم ينصرفون عن الدرس بسهولة.. كما أن تفكيرهم متناقض لذا يصعب عليهم تعليل الظواهر، كما يصعب عليهم فهم المعنويات والاصطلاحات. ويزداد فشل المتخلف عقليا على مر سنوات الدراسة، وذلك كلما انتقل من سنة دراسية إلى أخرى.

وكثيرا ما ينحرف التلاميذ المتخلفون بسبب عدم قدرتهم في الحكم على الأشياء، إذ يسهل على الخارجين على نظم المجتمع اقتيادهم لأنهم لا يدركون عاقبة ما يقومون به وخصوصا أن الانفعالات تؤثر عليهم أكثر من المعايير الخلقية..

• أسباب التخلف العقلي؟

يقول "شلتس آرسم" إن التخلف قد يكون وراثيا، وقد يكون نتيجة لأمراض أصابت الأم من تسمم أو إشعاعات تعرضت لها أثناء الحمل. كما أنه من الممكن أن يكون التخلف العقلي نتيجة لأضرار تعرض لها الطفل عند الولادة، مثل نزيف المخ مثلا.

وأحيانا يبدو التخلف العقلي واضحا في بعض الأسر بصورة ملفتة للنظر، وقد يحدث التخلف أحيانا لبعض الأسر في جيل كامل وخاصة في العائلات مدمنة الخمر.

كما أن هناك بعض الأطفال يتخلفون نتيجة للعلاقات الأسرية السيئة .. وإذا انتقلوا من هذه البيئة في سن الرضاعة لبيئة أخرى ولقوا اهتماما فأنهم يتطورون ويتقدمون.

ملحوظة :

يجب ألا نحدد العمر العقلي للطفل بالامتحانات فقط، وإنما بالمراقبة الدقيقة له ولفترات طويلة .

ويجب وضع التلاميذ المتخلفين في المدارس المتخصصة كل حسب درجة ذكائه، ويكون ذلك حسب معايير علمية محددة..

ويجب معرفة التلاميذ المتخلفين ونسبة تخلفهم في وقت مبكر ـ أي قبل سن المدرسة ـ وإذا كان يصعب هذا بسبب صغر سنهم، ولكن الأمر يحتاج لمراقبة دقيقة من التربويين والمربيات في مدارس الحضانة.

ويحدثنا "أسرتسكى جلنتس" عن ضرورة مراقبة الطفل قائلاً : "يراقب الطفل أثناء العمل والنشاط للتعرف على ميوله وتخيلاته كما يراقب لمعرفة قدراته مثل الرسم، والقدرة على التعبير بالكلام ودرجة استيعابه، ويجب التعرف على ثروة الطفل اللغوية، كذلك انفعالاته وقدرات جسمه العضلية " .

وقد يكون الطفل فاشلا فى دروسه وليس معنى هذا أنه متخلف عقليا وإنما يرجع فشل الدراسة إلى خطأ الأسرة فى التربية.. وذلك بتعنيف الطفل ومعاقبته باستمرار مثلا، فيخاف الطفل من العقاب ، أو بتدليله الزائد أو بإهماله، والأسباب كثيرة وعديدة ..ولكى نحافظ على أبنائنا لابد من اتباع المعايير التربوية بعناية.

* * *

طبقات التخلف العقلى

نعود بحديثنا إلى التخلف العقلى الذي ينقسم بدوره إلى ثلاث طبقات، حيث تختلف نسب الذكاء بين المتخلفين أيضاً، ولذلك يجب الانتباه لهذا حتى نتمكن من إفادتـــهم.

الطبقة الأولى: ويقال عنها طبقة " العته" وهذه أقل الفئات حظاً فى الذكاء، حيث تكون نسبة ذكائهم حوالى ٢٥ درجة فأقل.

الطبقة الثانية: ويقال عنها طبقة "البله" وتتراوح نسبة ذكائهم بين ٢٥:٤٥ درجة.

الطبقة الثالثة: ويقال عنها طبقة ضعاف العقول أى "المورون" وتتراوح نسبة ذكائهم بين ٤٥:٦٥ درجة.

والحقيقة أن هذه الفواصل ليست دقيقة كل الدقة والواقع أن ضعاف العقول يمثلون سلسلة متصلة من أقصى درجات الضعف العقلى إلى أقلها.. وسنستعرض هنا كل طبقة لتوضيح الفروق فيما بينها .

أولا : الطبقة الأولى:

العته"**idioey** ": نسبة الذكاء فى هذه الطبقة حوالى ٢٥ درجة فأقل.. وهى أقصى حالات الضعف العقلى، ويكون الضعف فى هذه الحالة شديداً لدرجة كبيرة، بحيث إن المعتوه لا يستطيع أن يدرك الأمور الخارجية إدراكا واضحا، ولا أن يعصم نفسه من الخطر الذي يهدد حياته.. والكثير من المعاتيه تعوزهم القدرة على المحافظة على الذات ولا يستطيعون أداء أى عمل إطلاقا، بل أنـــهم فى حاجة إلى من يلبسهم وينظفهم ويعنى بـــهم فى أتفه الأمور الحياتية مثلهم مثل الأطفال الصغار.

ثانيا: الطبقة الثانية:

البله "**embecility**": نسبة ذكائهم تتراوح بين ٤٥:٢٥ درجة، وهى المرحلة الوسطى من الضعف العقلى ، والبلهاء يتميزون عن المعاتيه فى أنه يمكن تعليمهم وتفهيمهم الكثير من الأخطار وطرق المحافظة على أنفسهم ولكنهم لا يرتفعون لطبقة ضعاف العقول .. فهم بالكاد قابلون لتعلم إجراء بعض الأعمال البسيطة المعتادة تحت الإشراف والمراقبة إلا أنـــهم عادة غير قادرين على متابعة حياتـــهم ولا المساهمة المادية فى كسب عيشهم.. وهم يحتاجون إلى من يـــهتم بـــهم فى غسلهم ولبسهم والعناية بـــهم.. ولا يمكن تعليمهم القراءة إلا بعض الكلمات ذات المقطع الواحد.

ثالثاً: الطبقة الثالثة:

الضعف العقلى"**feeble mindedness or moronity** " أو ما يسمى بـــ الخلل الذهنى أو المورونية: نسبة ذكائهم بين ٤٥:٦٥ درجة.

وهذه المرحلة تكون حلقة الاتصال بين البلهاء والأغبياء جدا "**dull**" وهم يمتازون عن البلهاء فى أنه يمكن تعليمهم بعض الأعمال التى قد تدر عليهم ربحا أو أجراً يكفى لعيشهم وهم يقلون عن الأغبياء جداً فى أنـــهم لا يستطيعون تكييف أنفسهم مع مواقف جديدة خارجة عن نطاق خبراتـــهم السابقة.. وتنقصهم بعض نواحى النضج العقلى مثل القدرة على بعد النظر وعمل بعض الخطط لمستقبلهم، وعدم القدرة على تحقيق أى خطة تجعل لهم وجوداً مستقلاً بعيداً عن المراقبة أو الإشراف الخارجى..

فمثلا على الرغم من قدرتـــهم على كسب قوتـــهم إلا أنـــهم لا يستطيعون الإشراف على صرف ما يكسبون، وأحيانا يفقدون القدرة على التميز بين الخطأ والصواب، كما أنـــهم ضعاف القدرة على تحمل المسئولية وتقوى لديهم الدوافع غير الاجتماعية ومن الممكن أن يصبحوا خطراً يهدد المجتمع.

أما من حيث القدرة التعليمية وهو ما يخصنا فى هذا المجال – فهى تختلف اختلافا كبيراً.. وكثير منهم يمكن تعليمه المبادئ الأولى للقراءة والكتابة والعمليات الحسابية البسيطة وبعض المعلومات المدرسية العامة، وقليل منهم من يستطيع أن يستفيد من التعليم العام ، ولذا لجأت الدولة لنظام تعليم خاص بـــهم

وأقامت لـــهم مدارس ومراكز تعليمية حتى تمكن إفادتـــهم والإفادة منهم فهم ليس لـــهم ذنب فيما جبلوا عليه وهذه مشيئة الرحمن ـ عز وجل ـ..وهم من أطلق عليهم أصحاب القدرات الخاصة، ولقد وجهت الدولة اهتمامها الكبير لهم وخاصة فى الفترات الأخيرة.

- **بعض الملحوظات :**

- أحيانا يتمتع الطفل بقدرة لفظية "قوية" فيكون محدثا لبق الأسلوب، سهل التعبير وهذه قدرة خاصة يتمتع بـــها ربما تضلل المدرس أو الإخصائى فى قياس نسبة ذكائه .. فيتخيلون أنه أذكى مما هو عليه.
- كما أننا من الممكن أن نجد بعض الأطفال يمتازون بقدرة خاصة فى المهارة اليدوية، ومن الممكن تنمية هذا عن طريق المدرسة والبيت.
- كثيراً ما تكون للذكاء مشاكله كالغباء تماماً.. فإذا لم يوجه الطفل الذكى فى كيفية استخدامه لذكائه.. اتجه للتعبير عن هذا النشاط العقلى الزائد بأساليب من الممكن أن تضره وتضر من حوله، وهو ما نطلق عليه أحيانا " الشقاوة أو الشيطنة".

وفى النهاية وقبل أن ننهى حديثاً فى هذا الموضوع لابد أن نتعرض ولو بنبذة صغيرة عن الذكاء وماهيته وما المقصود به.

* * *

الذكـــاء

نود أن نشير أولاً إلى أن " الذكاء " فى علم النفس مصطلح علمى له مدلول معين محدد ويعود الفضل فى تدويل كلمة "الذكاء" أو مرادفها"القدرة العامة" إلى جولتون **Golton** وبينه **Binet**، فقد حاول هذان العالمان الرائدان فى مجال علم النفس أن يضعا من الاختبارات ما يقيس "القدرة العامة"، وقد كانا يعتقدان أنـــها فطرية، وأن أثر البيئة عليه ضعيف إن لم يكن معدوما .

وكى نستطيع أن نتتبع طريقة معالجة الذكاء يحسن أن نبدأ الحديث بوجهات النظر التى حاولت أن تدرس هذه الظاهرة السلوكية من حيث إنـــها ظاهرة حيوية اجتماعية .

- **الذكاء من الناحية العضوية :**

المقصود بالذكاء من الناحية العضوية أى الحيوية: إمكانية نمط معين من السلوك الكامن فى التكوين الجسمى للكائن الحى ، بمعنى أن كل كائن حى معد لأداء أنماط معينة من السلوك حسب تكوين الجسم ويعد هذا الكائن ذكيا إذا كان يستعمل هذه الامكانيات فى المواقف التى تدعو لاستعمالها وهذه القدرة ـ بـــهذا المعنى ـ مورثة .

وهكذا حاول علماء النفس الفسيولوجيون أن يعرفوا الذكاء على أساس التعريف السابق أى أنه مورث .

- **الذكاء من الناحية الاجتماعية :**

يرتبط الذكاء ببعض العوامل التى هى نتيجة التفاعل الاجتماعى أو التنظيم الاجتماعى فى البيئات المختلفة ، وقد تسمى هذه العوامل أحيانا بالنظم الاجتماعية ، بيد أنـــها تتكامل جميعا فيما يسمى"بالثقافة العامة" وهذه النظرة تعتبر أن هناك عوامل اجتماعية

تدخل فيما يطلق عليه "السلوك الذكى" أو "التصرف الحسن" فمثلا القدرة على استعمال الرموز كاللغة والأعداد. واستعمال المعانى للمدركات الكلية كالمادة والقانون والحق والواجب . مثل هذه العوامل الاجتماعية تؤثر فى سلوك الفرد الذكى ـ أى تؤثر ـ فى قدرته على معالجة المشاكل التى تواجهه بنجاح.

• الذكاء من الناحية السيكولوجية :

يرى علماء النفس أن المقصود من الذكاء نمط السلوك الذي يحدده نوع معين من الاختبارات .. ويتمثل السلوك الذكى حينما يوجد الكائن الحى أو الفرد فى موقف معين ولديه دوافع للوصول إلى غرض يشبع به حاجة معينة ، ولكن الوصول لهذا الغرض من الصعب فكيف يتصرف الفرد حيال ذلك؟ وكيف يزيل العقبة أو الصعوبة التى يواجهها؟ وهنا يظهر السلوك الذكى فى طريقة تغلب الفرد والوصول لغرضه الذي يشبع حاجته . وهنا يكون للذكاء معنى جديد أى يصبح من خواص السلوك ، ويمكن أن نقول إن الذي يحقق غرضا أو منفعة سلوكه ذكى .

• ولكن ماذا عن الذكاء من وجهة نظر رجال التعليم؟

الذكاء من وجهة نظرهم يأخذ شكل الاستعداد الدراسى والنجاح فى المدرسة أو التنبؤ عن النجاح فى ناحية دراسية معينة، ولذلك فهم حينما يتحدثون عن اختبارات الذكاء إنـــما يتحدثون عن اختبارات الاستعداد الدراسى وينحون جانبا إثر هذه الاختبارات فى غير ذلك من المواقف .

والخلاصة التى نستشفها من ذلك: هى وجود علاقة بين كل هذه الأساليب حيث أنـــها كلها تشترك فيما يسمى الأداء العقلى . وهذه الرابطة يمكن أن نعبر عنها بما يسمى بالقدرة العقلية العامة أو قدرة القدرات .

إن الذكاء استعداد يرثه الطفل، شأنه فى ذلك شأن الخصائص الجسمية والانفعالية التى تنقلها جملة الاستعدادات الوراثية "الجينات" من الآباء والأجداد للأبناء.

إن النمو العقلى يكون بطيئاً فى الصغر ويأخذ فى الإسراع خلال فترة الطفولة المتأخرة حتى مرحلة المراهقة المبكرة.

إن النمو العقلى لا يستمر فى زيادة مطردة بل يقف عند سن معينة وهى تختلف باختلاف الأفراد ، فمثلا فى حالة الأشخاص النابـــهين يستمر هذا النمو حتى حوالى سن العشرين ، بينما فى حالة متوسطى الذكاء يقف عند سن السادسة عشرة على الرغم من أن الذكاء استعداد فطرى إلا أن هناك بعض العوامل البيئية التى تلعب دورا مهماً فى إثارة هذه القدرة ومن بينها:

- **تعليم الطفل المدرسى .**
- **الحالة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية فى الأسرة .**
- **الرفاق وأثرهم .**
- **الحالة الصحية .**

فقد يحدث أن يولد طفل مزود بقسط كبير من الذكاء ولكن سوء الحالة لن يتيح لقدرته العقلية الظهور بدون القدر الذى يدل عليه.

الفصل الرابع
المدرسة ودورها التعليمى

إذا كنا قد بدأنا بدور المدرسة الاجتماعى والتربوى فهذا لما لـــهما من تأثير خطير في نفوس الأبناء ـ برغم تـــهميش هذا الدور في الوقت الحالى ـ ولكننا لابد أن نتعرض أيضا لدور المدرسة الأساسى التعليمى، لأننا أصبحنا نشارك فيه بصفة أساسية نظراً للظروف التعليمية التى نمر بـــها.. فنحن لو شاركنا المدرسة فى تعليم أبنائنا وإكسابـــهم خبرات متنوعة منذ الصغر واكتسبت صفة الثبوت والاستمرار سيتحول هذا لعادة وسلوكيات جيدة، وهذا هو لب عملية التعلم والتربية.. فمثلا من الممكن أن يكتسب الطفل عادات شخصية تتعلق بمظهره وأسلوب حديثه وطريقة تفكيره ، وممكن أن يكتسب عادات اجتماعية مثل احترام الفرد لنفسه ولغيره ويكون اتجاهات اجتماعية كاكتساب القيم وتقدير حرية الفرد.....إلخ.

وهنا قد نصل لماهية التعليم بمعناه العام فى حياتنا اليومية ، وهو فى هذه الحالة محصلة تفاعلات الطفل مع بيئته، وهو الذى على أساسه يحدد أداء الفرد فى أى وقت وفى أية لحظة.

- أما من الناحية العلمية فالتعلم عملية فرضية لا نلاحظها مباشرة إنما نستدل عليها عن طريق النتائج المترتبة على بعضها مثل أى عملية في العلوم الطبيعية أو المغناطيسية وغيرها.

وأخيراً.. فالتعلم كما سبق وقلنا يبدأ منذ اللحظة الأولى التى يولد فيها الكائن الحى، ولاشك أن عملية التعليم أكثر ضرورة للإنسان منها لدى أى كائن حى آخر نظراً لأنه يعيش فى مجتمع متحضر معقد له أساليبه الخاصة والعامة، ولابد أن نقف على أنماط معينة من السلوك حتى نحقق الغرض من سيكولوجية ما نتعلم وهو

التغيرات شبه الدائمة فى سلوك الأفراد والجماعات والتى تتيح لهم أداء أصعب الأمور الفكرية والعملية بأبسط طريقة ممكنة وبأقل مجهود.

- بعد أن تعرضنا من قبل لمراحل التعليم المختلفة والهدف من تقسيم التعليم إلى مراحل فيما سبق، لابد أن نقف على نقطة مهمة وهى أن كل مرحلة فى حاجة لمنهج تسير عليه لتحقيق الغرض المرجو منها.

* * *

المنهج الدراسي

المنهج ليس المقصود به المواد الدراسية التى يدرسها الطلاب ـ كما كنا نتخيل من قبل ـ ولكن هذه المواد جزء منه حيث إن المنهج يشمل كل الخبرات التى يمارسها الطلاب فى مدارسهم من أول الطابور المدرسى ، وطرق تحدثهم مع مدرسيهم ، وطريقة الاستعارة من المكتبة ، وكيفية حل الخلافات بينهم ، إلى كل النشاطات الخاصة والعامة تدخل جميعها تحت إطار المنهج الدراسى.

* * *

طريقة التدريس

أما طريقة التدريس فهى الوسيلة التى تتبع فى تدريس أى مادة وهى تختلف من مادة لأخرى .. فهناك مادة يتحقق تدريسها بالطريقة الكلية، وأخرى بالإلقائية، وثالثة بطريقةالوحدات.... إلخ.. وهذا يتحدد حسب المادة ومرحلة التعليم الدراسية.

* * *

دور المدرس

كما ذكرنا آنفا تقع على عاتق المدرس مهام ومسئوليات جسام، وغالبا ما تتكون علاقات شخصية بين المدرسين كأفراد

والأطفال، وهنا لا تقتصر مسئولية المدرس على الناحية العلمية للطفل فحسب، بل تتعدى ذلك إلى تكوينه اجتماعيا ويكون موقفه من الطفل كموقف المنظم والناصح والصديق.

ويتوقف نجاح هذه العملية على عدة عوامل منها:

١ - سن المدرس:

- المقصود هنا ليس عمره الزمنى بل ما يصحبه من نضج عقلى واجتماعى وما يترتب عليهما من توازن انفعالى وتماسك فى شخصيته واتجاهاته نحو الأطفال.
- أما صغر عمر المدرس يعتبر عاملا من بين العوامل التى تساعد على فهم مشكلات الصغار بعكس لو كان من كبار السن فيتعذر عليه وضع نفسه محل تلاميذه لاختلاف الأجيال.
- من المحبب أن يصبح المدرس صديقا لتلاميذه لكن لايجب أن تزال الفجوة بينهما، إذ إن التمادى فى إنشاء صداقات بين المدرس والطفل من شأنه أن يفقد المعلم صفة يجب أن يشعر بـــها تلاميذه وأعنى بـــها أن يكون موضع احترام وتقدير.

٢ - جنس المدرس:

كما أن عمر المدرس يكون ذا فاعلية للتلاميذ فأيضاً نوع المدرس له تأثير .. فمثلا المدرسات يجدن صعوبة كبيرة تتصل بالنظام، حيث إن الطفل فى المرحلة الابتدائية ينظر للمدرسة نظرته لأمه فهو يحبها ولكن أحيانا لا يطيعها بعكس نظرته للمدرس الرجل فتختلف ويكون أساسها الطاعة والرهبة فى هذه المرحلة لأنه ينظر إليه كأبيه.

٣ - قدرة المدرس على فهم "الطفل المشكل":

"الطفل المشكل" هو الذى لا يحترم النظام ويعتدى على السلطة والتقاليد المدرسية ، وهذا الطفل يجب ألا تـــهمل مشاكله، ويجب أن يعمل المدرس على حلها ويقف على أسبابـــها حتى لا تتفاقم معه فى كبره وتؤدى لإضرابه عندما يتقدم به السن.

من أهم مشكلات الأطفال الأخرى التى يجب على المدرس ملاحظاتـــها والعناية بـــها: القلق والخجل وكثرة الحركة وعدم الشعور بالأمن والحرمان والأوهام.....إلخ.

هذه المظاهر أو المشاكل إن لم تحل فى حينها تتأصل فى النفوس وتصبح عاملا مهما فى اضطراب سلوكهم وانحلال شخصياتـــهم.

٤ - شخصية المدرس:

يجب أن يكون ذا شخصية متكاملة .. أى تتوافر فيه هذه الشروط:

١- قدرته العلمية وتمكنه من مادته.

٢- ثقته بنفسه.

٣- قدرته على معاملة تلاميذه بـــهدوء وسعة صدر.

٤- تقبله ما يوجه إليه من نقد.

٥- ألا يكون خياليا أو مثاليا، بل يكون قادراً على مواجهة الحياة بما فيها من حقائق.

٦- ألا يكون متزمتاً نحو نفسه وأن يكون منشرح الصدر.

٧- أن يكون مثالا للحب والتعاطف، وأن يكون بمثابة أب أو أخ أكبر لتلاميذه حتى لا يرهبونه، بل تحدث ألفة بينهم واحترام.

٨- أن يبتعد عن الدروس الخصوصية التى تفقده مصداقيته ويكون قدوة للتلاميذ.

إذا توافرت هذه الشروط فى المعلم لابد أن يكون ناجحاً وله تأثيراته فى سلوكيات تلاميذه ويستحق بيت الشعر الذى يقول :

قف للمعلم وفّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا.

والذى أحزننى كثيراً عند قراءته محرفا على الجدار الخارجى لإحدى المدارس وقد كتبه أحد الطلبة الفاشلين الذى لم يتمثل له المعلم قدوة.

قف للمعلم واعطه البرسيما كاد المعلم أن يكون بهيما.

الفصل الخامس
العمليات العقلية فى التعلم
الإدراك..الانتباه..التخيل

كثيراً ما نسأل شخصا: هل أنت مدرك لما تفعله ؟ فماذا تعنى كلمة "إدراك" التى نستخدمها فى مواقف كثيرة ؟ وما علاقتها بالنمو النفسى للطفل؟ وهل الإدراك فطرى أم مكتسب ؟!

- **معنى الإدراك :**

الإدراك هو الوسيلة التى يتصل بـــها الإنسان مع بيئته، فهو لا يستطيع أن يأكل إلا إذا أدرك بطريقة ما أن ثمة ما يؤكل موجود فى بيئته، ولا يستطيع أن يحافظ على حياته، وأن يستمر فى الوجود إلا إذا أدرك وجود الأخطار التى تـــهدد حياته من عدم وجودها، ولا يستطيع أن يعيش مطمئنا إلا إذا استطاع أن يفرق بين أصدقائه الأوفياء وغيرهم من أصحاب السوء..وهكذا.

إذن الإدراك هو الوعى ، والوعى عند الفرد لا يتربى من موقف معين واحد بل من عدة مواقف .

- **الإدراك وعلاقته بالنمو النفسى للطفل :**

ينعكس أثر البيئة الخارجية داخل الطفل فى صورة إدراك .

والإدراك لا يعنى فهم الشىء أو الحقيقة فى حد ذاته وإنما يعنى هذا من خلال ذاتية المدرك سواء كان كبيرا أو صغيراً ، وينتهى هذا الإدراك إلى أحد مكانين : الشعور- اللاشعور .

فإذا كان الموقف المدرك مقبولا لدى متلقيه كان إدراكه فى الشعور، ويظل يؤثر فى سلوك الشخص بوعى .

أما إذا كان الموقف المدرك غير مقبول.. مخيفا مثلا أو مخجلا، فإن الادراك يتحول إلى اللاشعور فى صورة كبت للموقف أو ما يحيطه من انفعالات ويتحول إلى "عقدة" تؤثر فى سلوك الشخص بدون وعى منه .

وبما أن الإدراك يعنى الوعى بالمواقف المحيطة وإدراكها.. إذن من الممكن أن ننمى لدى الطفل أى نوع من أنواع الوعى.. كالوعى الدينى مثلا بأن نقدم له المعلومات الوفيرة والقيادة المؤمنة.. وكذلك الوعى الاجتماعى والسياسى ... إلخ .

هناك نقطة بسيطة لا تلتفت إليها الأم أو المعلمة، وقد تكون عواقبها النفسية جسيمة، وهى أنه أحيانا تسرف الأم أو المعلمة فى القسوة أو التدليل أو التحقير للطفل ونحن نعلم أن الطفل بدوره وعن طريق إدراكه للموقف الذي يحدث له إما أن ينقل إدراكه للواقع المعاش للشعور أو اللاشعور.. وإذا كان هذا الإدراك معتدلا سيظل فى شعوره وسينمو معتدلا نفسيا. أما إذا كان هناك إسراف سيملأ اللاشعور بالكبت والعقد وسيشعر الطفل حين يكبر إما بالنقص أو التكبر بصورة لا يرضى عنها المجتمع ويصبح مريضا نفسياً .

- **الإدراك من حيث إنه فطرى مكتسب :**

وإذا نُظر للإدراك من ناحية إنه فطرى أو مكتسب: فسنجد أن الإنسان كغيره من الكائنات الحية يولد مزوداً بقوى فطرية هائلة لتحقيق عملية الإدراك، ولا يتعلم الكائن الحى كيف يستخدم هذه القوى الهائلة، بل إنه يستخدمها مباشرة ، غير أن استعماله ينمو ويتهذب بحكم اتصاله المتكرر بالعالم الخارجى، ويستعمل الكائن الحى هذه القوى فى المحافظة على بقائه وفى تنفيذ أغراضه الدنيا والعليا فى الحياة .. وقد توصلت الدراسات

السيكولوجية إلى أن الإدراك البصرى يحتل المنـــزلة الأولى فى القوى الإدراكية التى نزود بـــها .

ولهذا لابد أن نراعى المراحل السنية للطفل ومدى إدراكه واستيعابه لمن ولما حوله حتى نوجهه التوجيه الصحيح .

* * *

الانتبـاه

الانتباه من حيث معناه العام : هو حالة تركيز العقل أو الشعور حول موضوع معين ، وهو بـــهذا المعنى العام عملية وظيفية ، فبينما نقول "خللى بالك " أو "انتبه" أو " ركز انتباهك" كما يقول المدرس أحيانا لتلاميذه وهو يقصد أن يبلور التلميذ.. شعوره وإدراكه حول جزء معين من المجال الخارجى الذي يوجد فيه التلميذ والذى يكون للمدرس جزء صغير منه حيث إنه يقف فى حجرة بـــها تلاميذ يتحركون ويهمسون ويتحدثون ... إلخ .. فحينما يطلب المدرس هذا فهو يعنى المعنى الوظيفى للانتباه فى الحياة العقلية للتلميذ، أى أن يحاول التلميذ إشباع شعوره بأكبر مدى ممكن من المعرفة وتركيز الطاقة العقلية على الموضوع الذي يشرح، وغالبا نحن لا ننتبه لكل ما هو مألوف.. وغير المألوف دائما هو ما يلفت انتباهنا .

وحتى يتم الانتباه لابد أن تتحقق بعض الاشتراطات ومنها :

١- **البيولوجية** : فلا يمكن لطفل جائع أو عطشان مثلا أن يركز انتباهه فيما يقال حوله ، فلابد أن ينصرف تفكيره إلى حالته وخاصة إذا كان يعانى مثلا من مرض فى أسنانه أو مغص معوى .. إلخ.. فهذا لابد له أن يضعف انتباهه .

٢- **النفسية** : نحن نعلم أن الانفعالات تتلاشى ببطء لذلك نلاحظ أن الطفل أو الطالب بصفة عامة يصعب عليه الانتباه إذا تعرض لتوبيخ أو عقاب من أحد ذويه أو شاهد فيلما تليفزيونيا أثار أعصابه أو مباراة كرة تأثر بـــها مثلا.

ويرى عالم النفس "باولو" أن الانفعال سواء كان داخليا أو خارجيا يؤدى إلى إثارة بعض المراكز فى جسم الإنسان، فتؤدى بدورها إلى عدم الانتباه لأن تركيز الطفل على شىء معين يفقده انتباهه.

- **إذن كيف يستطيع من يشرح أن يجذب انتباه الطفل ؟**

حتى يكون الطفل منتبها أثناء الشرح ـ سواء لمعلمه أو لأمه ـ انتباها تاما لابد أن يكون من يشرح له هادئا، وأن يكون الشرح بصوت مرتفع واضح ومتنوع النبرات حتى يجذب انتباهه .. فإن كان الشرح بطبقة صوت واحدة وعلى وتيرة واحدة يجعل الطفل يمل وينصرف عنه ، وكثيراً ما نسمع التلاميذ يقولون بينهم وبين بعضهم إن أحد المدرسين حصته "بِتْنَيِّم" .

والأجمل والأفضل لو استخدم المدرس وسائل توضيحية مبهرة وملفتة للنظر أثناء الشرح كالخرائط مثلا، أو يقوم بعمل تجارب معملية أمامهم .. أو يستخدم الطباشير الملون واللوائح الإيضاحية وخاصة للمرحلة الأولى، فكل هذا يزيد من انتباه الطفل .

* * *

التخيـــل

هناك نوعان من التخيل :

أولا : التخيل " التكوينى أو الإنشائى " : وهذا النوع يهدف للبناء، وهو عبارة عن نوع من التفكير تستعمل فيه الحقائق

لحل مشكلات المستقبل والحاضر كتخيل المبدعين والمفكرين والمخترعين والكتاب والروائيين .

ثانيا : "التخيل الهدام" : وهو يساعد الفرد على حل مشكلاته الحاضرة والمستقبلية بشكل يلحق به أو بمجتمعه الأذى.. وهو تخيل يبعد الإنسان عن عالم الحقائق لعالم الأوهام بشكل يؤثر على حياته .

- **تخيل الطفل فى سن المدرسة :**

عندما يلتحق الطفل بالمدرسة يأخذ تخيله اتجاها جديداً ، فبعد أن كان خياله فى المرحلة السابقة من النوع الإيهامى الذي يعبر فيه عن تخيلاته أثناء لعبه أو فى أحلامه، ويستمد هذه التخيلات من موضوعات منـــزلية أو من مشاهداته لأشخاص معينين كرجل البوليس أو ساعى البريد مثلا ـ واتصال هذه التخيلات برغبات الطفل المكبوتة كمثل أن يغار من أخيه الصغير فيتخيل نفسه يعاقبه أثناء اللعب ـ فنجده نتيجة لنضجه العقلى يصير تخيله فى سن المدرسة إبداعيا أو تركيبيا، ونستطيع فى هذه السن أن نتحكم فى قدرته التخيلية ونوجهها عن طريق النشاط الفنى كالرسم والتلوين أو ندفعه لمجال سرد القصص .

ولا ننسى أن خيال الطفل يغذيه ما يقرأ أو يشاهد من تمثيليات وأفلام ....إلخ.

ولذا فعلينا بالاهتمام بنوعية ما يقبل عليه من قراءة أو مشاهدة تليفزيونية. ومن الممكن أن يحدث التخيل بطريقة متعمدة أى يعيد الإنسان ذكرياته أو خبراته بمحض إرادته أى أن يضع شيئاً معينا أمامه ويجعله حاضره.

ويمكن أن يحدث التخيل بطريقة غير متعمدة، حينما تحدث مشكلة مثلا ويحدث استرجاعها وتخيلها عندما يدور بأذهاننا ما شابـــهها فى الماضى .

فالقدرة على التخيل مرتبطة بالحالة الذهنية التى يكون عليها الطفل فى لحظة معينة . فنرى مثلا لو أن تلميذاً جالسا لوحده فى مكان ملائم يحل أسئلة امتحان على طبيعته فيعطى نتائج صحيحة لأنه عنده فرصة للتخيل، أما من يقف أمامه بعض الزملاء أو مدرس يجلس بجواره أحيانا فيتوتر وتشتت أفكاره ويبعد عن التخيل الإيجابى .. ولذا على المدرس أو مراقب الامتحان أن يشجع الممتحن ولا يشتت انتباهه.. وعلى الأم أن تلفت نظر ابنها ألا يعبأ بـــهذا ويركز فى طريقة حله فقط .

* * *

العمليات العقلية المسهمة فى عمليات التعلم

التذكر .. التفكير .. الحفظ .. التكرار .. الاستدعاء

أولاً :التذكر:

التذكر: وظيفة للعقل من حيث هو وحدة التذكر، والوظيفة الرئيسية للتذكر هى استرجاع الموقف أو الموضوع، والتعلم يعتمد على التذكر لحد كبير .. فتذكر الإنسان لطريقة التغلب على مشكلة معينة ، وسرعته فى إدراك موقفه السابق إزاء هذه المشكلة يساعد على التغلب على نفس هذا الموقف، أو على آخر يشابـــهه بسهولة كبيرة ، وبالتالى يكون قد تعلم هذا الأمر وبعد مرة أو مرات لا يجد الإنسان ثمة مشكلة إزاء هذا الموقف.

إلا أن التذكر بدوره عملية معقدة فهو يتوقف على الحفظ، كما أن له مظهرين هما التعرف والاستدعاء ، وبالتالى يعتمد على الذاكرة التى يحفظ فيها الشخص معلوماته وهل هى قوية أم ضعيفة؟ وسنوضح هذا فى السطور التالية.

الذاكرة

هى كومبيوتر الإنسان الذي يحفظ فيه معلوماته وإمكانية الاحتفاظ بشيء فى الذاكرة واسترجاعه يتم بواسطة قشرة المخ التى تضم الخلايا العصبية الأصلية.. وقشرة المخ هى الطبقة العليا للمخ ونموها السريع هو ما يميز الإنسان عن الحيوان .

ويحدث التذكر حينما تترك الانفعالات آثاراً بالمخ .. وبالمخ مخزنان للذاكرة: الأول: هو مخزن التذكر لوقت قصير. والثانى: للوقت الطويل.

مخزن الوقت القصير: يحتوى على الاستجابات الخاصة بتذكر الوقائع النفسية الحاضرة ، **أما مخزن الوقت الطويل**: فتسيل منه المعلومات ١٦ جزءاً فى الثانية .

والأطفال يتذكرون لمدة قصيرة قد تكون لدقائق لقلة خبراتـــهم السابقة.. ولكن فيما بعد تأخذ قدرة الطفل على التذكر فى النمو كلما زاد عمره .. فعملية التذكر تسير جنبا إلى جنب بجوار عمليتى الإدراك والانتباه .

والتذكر ينعكس إما عن معرفة فيكون قائما على الفهم ، أو إنه تذكر آلى وذلك بالنسبة للأطفال لأن قدرتـــهم العقلية محدودة، وبالتالى هم يفضلون الاسترجاع الذي لا يقوم على الفهم.

ونمو انطباع الذاكرة المبنى على الفهم مهم جداً بالنسبة للتلاميذ، ويجب على من يساعدهم سواء بالمنـــزل أو المدرسة أن يحثهم على الفهم حتى تثبت المعلومات فى ذاكرتـــهم لفترات طويلة، وكلما استوعب التلميذ المادة الدراسية كلما أمكنه تحليلها، وانطبعت بذاكرته أكثر وأكثر . وهناك طرق عديدة يستخدمها البعض لتثبيت انطباع معين بالذاكرة منها :

- القراءة المسموعة من شخص لآخر (نرى أن الانطباع بالذاكرةهنا يكون عن طريق الصوت وطريقة النطق).
- قراءة ونقل ما هو مكتوب (الانطباع يكون عن طريق النطق والعمل اليدوى).
- القراءة بصوت عال (الانطباع يكون بالذاكرة عن طريق الصوت والنظر).
- القراءة الصامتة (الانطباع يكون عن طريق النظر) .
- ترديد ما يقوله الغير (الانطباع يكون عن طريق السمع والكلام).

- وفى النهاية نقول إن الانطباعات الناتجة عن الفهم والمكتسبة بواسطة الارتباطات فإنـــها تكون أكثر انطباعاً بالذاكرة .

ثانيا: الفهم والتفكير :

كثيراً ما نتحدث مع طفل لمدة طويلة فى أمر ما ونكتشف أنه لا يعى شيئا مما نقول.. وفى هذه الأثناء نقول هذا الطفل لا يفهم! فماذا نقصد بكلمة الفهم التى نستخدمها كثيراً .

الفهم : هو أن نوضح فكرة أو نتحدث فى موضوع بأسلوب يسمح للمتلقى فهمه بأبسط طريقة ممكنة .. وعندما يفهم نكون نجحنا فى توصيله.

وكثيراً أيضا ما يخلط الناس بين فرد فاهم وإنسان يفكر جيداً مع أنه من الممكن أن يكون الفرد فاهما لما تحدثه فيه لكن لا يستطيع أن يطبقه بسهولة، ومن هنا يأتى دور التفكير وهو مايلى الفهم .

التفكير: هو أن نعطى هذا الفرد مثلا أسئلة على ما فهمه وننتظر الإجابة عنها.. فتحدث عملية عقلية معينة يكون فيها إيجابيا بعكس الأولى التى كان فيها سلبيا فيستطيع التغلب على

الموقف الذى وضع فيه، وبالطبع يختلف تفكير كل شخص حسب تكوينه النفسى وشخصيته وما فهم .

ومن هنا نجد أن التفكير يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية الأخرى .. وبالتالى لا يوجد التفكير إلا إذا جابهت الكائن الحى مشكلة معينة والمشكلة بدورها لا توجد إلا إذا تواجد الفرد فى موقف معين ويود الوصول لحل له ولكن لا ينفع مع هذا الموقف أساليب سلوكه المعتادة فيضطر العقل للتفكير. وينمو التفكير طبقاً للخبرة وإدراك العلاقات الجديدة.. ولكن ..

هل هناك فرق بين التفكير والذكاء أو التفكير والتذكر أو التفكير والتخيل ؟

بالنسبة للتفكير والذكاء: يعتبر التفكير مظهراً من مظاهر الذكاء ولكنه ليس متحدا معه.. فالتفكير يمكن تدريبه .. بمعنى أن من أهداف التربية الصحيحة تدريب النشء على التفكير السليم، أو بمعنى آخر مساعدة النشء على اكتساب عادات فكرية صحيحة.

فالتفكير يمكن توجيهه وجهة معينة وفق شروط التعلم العامة، بينما الذكاء لا يمكن تدريبه وتنميته، حيث إن نسبه يختلف الأفراد فى درجاتها وتظل ثابتة داخل حدود معينة، كما أنه استعداد يرثه الطفل، شأنه فى ذلك شأن الخصائص الجسمية والانفعالية التى تنقلها الجينات من الآباء والأجداد للأبناء فيولد الطفل مزوداً به ..

بالنسبة للتفكير والتذكر: نجد إن التفكير يفترق عن التذكر، إذ أن التذكر هو العملية التى يتم بها استرجاع موضوع معين وهو يعتمد على الحفظ ، ويظهر التذكر إما على صورة استدعاء أو تعرف ، أما التفكير فإن الخبرات السابقة لا تحتل إلا منزلة جزئية، إذ يختار الفرد منها ما يناسب الموقف الجديد الطارئ عليه،

ثم يعيد تنظيمها فى كل جديد يحاول به التغلب على المشكلة فى هذا الموقف الطارئ.

بالنسبة للتفكير والتخيل: يفترق التفكير عن التخيل فى أن التخيل هو استدعاء للخبرات السابقة فى صورة جديدة.. بعكس التفكير الذي يهدف لحل مشكلة معينة، وقد يساعد التخيل ويسهم فى التفكير، إذ يعتبر عملية مهمة من العمليات التى يقوم عليها التفكير . إلا أن التخيل أبسط من التفكير لأنه لا يهدف دائما لحل مشكلة ولا يهدف لتحقيق غرض معين .

والواقع أن عملية التفكير تحتل منـــزلة كبيرة فى العمل المدرسى، ولابد أن ندرك تماما أننا يجب أن نتعلم طرق التفكير المختلفة، وأن التعليم وحده هو الذي يمكنه أن ينمى طرقا معينة للتفكير عند النشء ويرعاها .. وأن خير العادات التى يمكن أن نربى عليها أبناءنا هى التفكير العلمى . الذي يؤسس على الملاحظة والمشاهدة الدقيقتين .

وإذا تناولنا الطفل وتفكيره وهو ما نحن بصدده ـ فسنجد أنه فى سن السادسة أو السابعة يصعب عليه التفكير مجرداً، بل نجد أنه يستعين فى تفكيره بالصور البصرية للأشياء التى يلاحظها فى حياته اليومية ويبدأ تفكيره فى اتخاذ صيغة واقعية وترك المخيلات .. ويتعلم الطفل الأمور التى لا تحتاج لمجهود عقلى عنيف .. فهو يميل لحفظ الأغانى والأناشيد، أو ما يمكن أن يستوعبه استيعابا آليا .

ويلاحظ أن الطفل البطىء التعلم يكون سريع النسيان كذلك!

ويستمر تطور الطفل التفكيرى مع الوقت ومع سنوات الدراسة .. ففى أخريات المرحلة الأولى مثلا من الممكن أن يدرك المعانى الكلية.. فيستطيع أن يعرف ويدرك معنى التعاون والديمقراطية .... إلخ .. لكن ليس بطريقة تجريدية أى مجرد

اصطلاحات ولكن بربطها بالممارسات اليومية، ومن الممكن أن نوضح له مثلا التعاون بمجموعة تتعاون فى عمل معين وهكذا .

ونجد أن طفل السادسة فى حاجة لكتب قراءة مصورة ، بينما طفل التاسعة مثلا يميز بين المترادفات ويكتشف المضادات ويقرأ ليفهم وتلذ له القراءة الصامتة .

والهدف من القراءة الصامتة فى هذه المرحلة يكون لتنمية مجموعة من الاتجاهات والميول السليمة.. أى لفهم المعنى واكتساب معلومات جديدة وللتسلية أيضاً.. وخاصة أن الطفل فى هذه السن كثيراً ما يسأل عن فوائد الأشياء وطرق استعمالها.. لذلك يجب أن نتوخى فى مادة القراءة الإجابة عن تساؤلاته، ومثل هذه الأمور تتكرر فى العمليات الحسابية وبقية المواد. ولذا فكل سن لها قدراتـــها الاستيعابية وتفكيرها وبالطبع يجب أن توضع المناهج التعليمية على هذا الأساس .

ويجب أن يتعامل الأبوان أو المعلمون على هذا الأساس، فكل مرحلة سنية لـــها حدودها الإدراكية والسمعية والبصرية وأيضاً الانفعالية .

مراحل التفكير

مراحل التفكير عند الطفل ثلاث مراحل وهى :

١- مرحلة العد والتعداد: وهى تقع فى حوالى سن الثالثة والرابعة .

٢- مرحلة الوصف : وهى تقع فى حوالى سن السابعة والثامنة .

٣- مرحلة التفسير : وتقع فى حوالى الثانية عشرة والثالثة عشرة .

والخلاصة : إن قدرة الطفل على التفكير تنمو وفقا لخطوط النمو العامة. وتسير من إدراك العلاقات البسيطة إلى المركبة.. ولذا يجب أن نراعى أن تكون المناهج التى نبثها للطفل فى كل مرحلة عملية بقدر الإمكان، وأن تكون العلاقات المطلوبة من الطفل متدرجة فتبدأ بسيطة فى إدراكها واستنتاجاتـــها وتتفق وطبيعة نموه العقلى وسنه ..

ثالثا الحفظ:

يتمثل الحفظ فى أننا نستطيع استدعاء الأمور التى تعلمناها سابقاً وأننا نستطيع التعرف عليها .

ومن الملاحظ أنه حينما تنتهى الامتحانات نجد أن بعضها لا يزال عالقا بالذاكرة، أما البعض الآخر فقد نسيناه تماما، وهنا نرى أن الحفظ والنسيان ليسا بوظيفتين مختلفتين بل هما مظهران لوظيفة واحدة والحفظ هو جانبها الإيجابى والنسيان هو جانبها السلبى .. وغالبا ما توجد فروق فردية فى مدى ما يحفظه الأفراد المختلفون حسب الشروط التى تحيط بكل منهم فنجد أن :

- يحفظ سريعو التعلم أفضل من ضعيفى التعلم لأن نسبة ذكائهم تكون أعلى، وبالتالى تكون قدرتـــهم على الحفظ أقوى من الشخص الضعيف التعلم .
- إن المواقف المشوبة بصبغة انفعالية يتذكرها الإنسان أفضل من المواقف المحايدة، وكذلك المواقف السارة نتذكرها أسرع من المواقف المؤلمة .
- إن مدى ما يحفظ يتوقف على طريقة التعلم .. فمثلا الطفل فى حالة الطفولة المبكرة يجب أن يتعلم بالعمل.. وفى الطفولة المتأخرة يحفظ بطريقة آلية ، أمافى المراهقة فهو لا يحفظ إلا ما يفهم .

- إلا أن الإنسان لا يستعمل ما يحفظه فى كل المناسبات بل يكمن فى ذهنه حتى تتيح له المواقف الخارجية الفرص التى تلزمه بأن يلتجئ فيها لخبراته السابقة، فيستخرج ما حفظه فى صورة استدعاء، أو تعرف وسنوضح ذلك فى الفقرات القادمة.

حجم مادة الحفظ:

- يجيب لنا "أبنجهاوس" عن حجم مادة الحفظ، إذ يرى أنه يأتى بالتدريج، فلو حفظ الشخص من ٦: ٧ حروف يحتفظ بـــها من أول مرة وسيصل فى الرابعة إلى ٣٦ حرفاً بعد تكرار العديد من المرات.. وبالطبع يكون الحفظ أسهل إذا كانت الحروف بينها علاقة ذهنية وتكون للمادة معنى.. وما نريد إيضاحه فى هذا الصدد أن كل طفل له قدرته على الحفظ حسب تكوينه وحسب سنه، ولا يجب أن نضغط عليه أكثر من اللازم لأن هذا من الممكن أن يؤدى لنتيجة عكسية تماما ويجعله مشوشا وبدلا من أن يحفظ ينسى ويقول "ليونتيف" كلما كبر سن الطفل لجأ إلى الوسائل المساعدة على الحفظ .

* * *

النسيان

- يعمل الإنسان على نسيان الأحداث التى تشعره بالآلام النفسية .. والنسيان فى هذه الحالة يعتبر عملية دفاعية لا شعورية ..

- وكما أن النسيان له جانبه السلبى حين ننسى الأشياء المهمة التى نريد الاحتفاظ بـــها.. فله جانبه الإيجابى أيضاً حين ننسى أشياء تحزننا ونحتفظ بما له قيمة فى حياتنا .

- ومن أسباب النسيان تعدد الأنشطة الذهنية والجسمانية ولذلك يجب علينا أن نحث الطفل على مراجعة دروسه على فترات متقاربة ، ويجد البعض أن النوم بعد المذاكرة مباشرة يساعد على عدم النسيان، حيث لا يمارس التلميذ أى نوع من أنواع النشاط الذي يشتت تفكيره.
- وننوه هنا إلى أن المادة التى لها مفهوم ومغزى ذهنى يسهل عدم نسيانـــها والاحتفاظ بـــها.

ونستنتج مما سبق :

- إن الطفل يمكن أن يحفظ الأشياء التى لها مغزى ذهنى بسهولة ويمكن أن يحتفظ بـــها فى ذاكرته .
- كلما كبر سن الطفل ، كلما لجأ إلى الوسائل المساعدة فى الحفظ ، بأن يربط بين الشىء الذي يحفظه والأشياء الأخرى التى تذكره به .
- ولذا يجب علينا ألا نعطى الطفل الكثير من المعلومات دفعة واحدة، وأن يكون هذا بالتدريج حتى يستطيع أن يحتفظ في ذاكرته بمعظم ما يحصل عليه عند المذاكرة، ويجب أن يتبادل التلميذ الواجبات بحسب سهولتها وصعوبتها، ومن الأفضل البداية بالصعب ثم العودة للسهل .
- ويجب على المعلم أو ذويه بالمنـــزل أن يعلموه كيفية الإعداد للدرس قبل الحصة بأن يقرأه ولو مرة واحدة قبل أن يشرحه المعلم.. وينبهونه لمراجعة دروسه على فترات متقاربة .

رابعا : التكرار:

- **هل التكرار وكثرته يساعد فعلا على الحفظ؟**

إن التكرار يساعد على الحفظ ولكن الانطباع بالذاكرة لا يأتى نتيجة لعدد مرات التكرار فقط فلابد من الفهم والخبرة أيضاً.

لذلك نجد أن التكرار خلال فترة زمنية وجيزة غير مجد بالنسبة للاحتفاظ بالذاكرة .. ودليلنا فى ذلك لو أن التلميذ لم يستذكر دروسه بانتظام على مدى العام.. ثم يريد أن يعوض هذا خلال فترة زمنية قصيرة قبل الامتحان نجده لا يحصل على نتائج ذات قيمة .. ويجب أن يكون التكرار على أساس سليم وعن فهم لأن التلميذ لو استطاع أن يحفظ أشياء وبـــها أخطاء من الصعب أن يخرجها من ذاكرته بسهولة.

خامساً : الاستدعـــاء :

- **هل يمكن أن نستدعى المعلومات فى أى وقت نريد ؟ وهل يختلف هذا عن الإدراك والتخيل ؟**

الاستدعاء: هو استرجاع الذكريات وما يصاحبها من ظروف مكانية وزمنية .. ويعتمد الاستدعاء على الصورة الذهنية ، فمثلا حينما نسترجع ما قاله المدرس دون أن نقرأ ما أملاه علينا فنسمى هذا استدعاء .

ويختلف الاستدعاء عن الإدراك فى أن الاستدعاء يتعلق بالماضى، بينما الإدراك يتعلق بالحاضر .

ويختلف أيضاً عن التخيل لأن التخيل يرتبط بالمستقبل، بينما الاستدعاء بالماضى.

فمثلاً إذا بدأنا فى حل أسئلة امتحان حين نقرأها سيحدث إدراك لمضمونـــها فى الحاضر ثم يبدأ استدعاء أو استرجاع

للمعلومات التى استذكرتـــها فى الماضى ثم التفكير فى احتمالات الاجابات وما ستكون عليه فى المستقبل وهذا تخيل.

ملحوظة :

يجب أن ننمى الاستدعاء عند الطفل حتى يرتفع مستواه للأفضل، فحينما يسترجع قاعدة نحوية مثلا يعرف يعرب الجمل، وكذلك فى حل المسائل حين يستدعى القانون الخاص بالحل .

سادساً التعـرف:

يختلف التعرف عن الاستدعاء فى أنه أسهل.. فهو ليس فى حاجة لاسترجاع لأنه بصدد موضوع مسبق متعارف عليه ، فالتعرف ما هو إلا إدراك معدل بالتعلم.

ونلاحظ أن التعرف يحدث على درجات مختلفة .. فمثلا نحن حين نقف أمام موضوع مبهم نشعر أننا نعرفه أو قرأناه من قبل، ثم نحاول أن نتذكره فنكتشف أننا قرأنا مثله فى السنوات السابقة مثلا، ومع التذكر نحدد بصورة تامة اسم الموضوع بالكامل ومتى أخذناه ومن الذي شرحه لنا وهكذا ثم بعد ذلك نعدل مسار تفكيرنا .

obeikandl.com

الفصل السادس
التطور الانفعالى عند الأطفال

النمو الجسمى والعقلى للطفل لابد أن يحدث مع مرور السنوات، ومع هذا النمو لابد من تطور انفعالى يحدث للطفل أيضا مع تزايد سنوات عمره وبدرجات متفاوتة، ولنحاول أن نشير لهذا بنبذة صغيرة علها توضح لنا ما يعترى الطفل أحيانا من انفعالات ونندهش لها وهل هذا شيء طبيعى أم لا؟!

إن المظهر الانفعالى عند الأطفال يبلغ أشده فى حوالى الثالثة فيجب ألا نندهش من سرعة انتقال الطفل من حالة انفعالية لأخرى .

ثم سرعان ما يتجه نحو الثبوت والاستقرار شيئا فشيئاً، ويبدأ الطفل فى تجميع انفعالاته.. وهذا التغيير يستمر لبعد الخامسة .

• ولكن ما العوامل التى تؤثر فى الطفل وتجعله يثبت انفعاليا ؟

الثبوت الانفعالى عند الأطفال ينتج عن عوامل كثيرة منها:

١- دائرة اتصال الطفل بالعالم الخارجى تكون قد اتسعت ..لأنه يصبح فى هذه المرحلة متصلا اتصالا مباشرا بغيره من الأطفال أو بكبار تعود الاتصال بـــهم فى غير محيط الأسرة كمجتمع المدرسة مثلا.. وفى هذه الحالة نجد أن الطفل ينشغل ولم يعد يركز حياته الانفعالية على أمر واحد بل يوزعها على مختلف ما يحيط به ، وهذا التوزيع من شأنه أن يخفف من حدة انفعالاته وشدتـــها فيعطيه قسطاً كبيراً من الاستقرار الانفعالى.

٢- هناك عامل ثان يؤثر فى هذا الثبوت الانفعالى عند الطفل وهو ميوله للتنافس والاعتداء والذى يجد منفذاً طبيعياً فى المنافسة المنظمة فى المجتمع المدرسى الصغير والألعاب التى يمارسها مع غيره، وفى الأمور التى يتعلمها فى هذه المرحلة كمبادئ القراءة والكتابة والمعلومات العامة .

وهنا نلاحظ أن مشاعر وانفعالات الطفل لم تعد مركزة حول أفراد معينين بل جماعات منظمة .

فلا شك أن شعوره نحو مدرسته كوحدة عادة ما يكون شعوراً طيباً.. فحين يشعر الطفل أنه يستطيع أن يكون صداقات مع غيره من الأطفال ومع مدرساته ومشرفاته وأنه يستطيع أن يشارك على قدم المساواة فى التغلب على آخرين وتجد الميول العدائية لديه منفذاً طبيعياً لـــها.. فهذا يساعد على الاستقرار الانفعالى لديه.

ثم دقة التمييز اللمسى تقل بمقدار النصف تقريباً فى سن السابعة، ونلاحظ أن هذه الحاسة فى سن الثامنة أقوى عند البنات منها عند الأولاد .

٣- وثمة عامل ثالث يساعد على هذا الاستقرار والثبوت الانفعالى عند الطفل، وهو يترتب على العاملين السابقين وهو التنظيم الملحوظ فى علاقات الطفل الاجتماعية .. فنجد أن سلوكه نحو الآخرين لم يعد نتيجة دافع وقتى بل يبنى على الاتجاهات والميول التى توافق مقتضيات الموقف ككل ، وبالتالى نجد شيئاً شبيهاً بالعرف الأخلاقى يبدأ فى الظهور خلف سلوك الطفل اليومى .

ملحوظة :

بعض الأمهات سيقلن إن أبناءهن وصلوا لهذه السن ومازالت انفعالاتـــهم قابلة للاستثارة.. نعم انفعالات الطفل فى هذه الفترة تكون نشطة وقوية وقابلة للاستثارة ، فحقيقة يقل التأرجح الانفعالى لديه ، ولن تجديه يتقلب بسرعة بين انفعال وآخر ولكن إذا استثير انفعاليا من الممكن أن ينخرط فى البكاء أو يضرب بيديه ورجليه الأرض، وقد تزداد حساسيته الانفعالية ويتجه للعناد والتحدى والتمسك بآرائه فى أتفه الأشياء.

وإذا حدث هذا يجب ألا تقلق الأمهات أو تنـــزعجن لأن سرعان ما تشرع هذه الحالات فى الزوال شيئاً فشيئاً كلما تقدم الطفل إلى السابعة وما بعدها، ويتحول لسن المرح والابتهاج وتنظيم الخبرات الانفعالية لتكامل الذات.. إذ يدرك الصغير وتتضح له قيمة السيطرة على الانفعالات وتقبل آراء الآخرين بالسماحة واللين .

* * *

النمو الحسى الحركى للطفل

إذا تتبعنا النمو الحسى للطفل سنجد مثلا إنه فى المرحلة من ٦ : ٨ أى مرحلة الطفولة الوسطى تكون حاسة اللمس قوية عند الطفل، وكذلك الحاسة العضلية..

أما سمع الطفل فى هذه المرحلة فيكون غير ناضج تماماً.. فهو مثلا لو سمع أغنية يتذوق إيقاعها إلا أنه لا يتذوق اللحن أو الكلمات ..ثم تبدأ فيما بعد دقة سمع الطفل فى النضج، ونلاحظ تقدما ملموسا فى قدرة الأطفال على تمييز الأنغام الموسيقية حتى الحادية عشرة، ثم يتطور بعد ذلك من اللحن البسيط للمعقد .

- أما بالنسبة لبصر الطفل والتمييز البصرى فى هذه المرحلة أى من ٦: ٨ سنوات فهو ضعيف وعلى غير ما نتوقع.. ذلك لأن حوالى ٨٠% من الأطفال دون السابعة مصابون بـــ " طول النظر" فى حين أن ٢ أو ٣ % منهم مصابون " بقصر النظر .
- وبالطبع هذه الحقيقة على جانب كبير من الأهمية من وجهة النظر التعليمية . فنلاحظ أن الأطفال فى هذه المرحلة لا يجيدون قراءة الخط الصغير المطبوع ، أو الاشتغال بأى عمل قريب من أعينهم مباشرة لفترة طويلة من الزمن ..

وإذا تطرقنا للمرحلة التالية من ٨ : ١٢ سنلاحظ أن إبصار الطفل يتحسن، كما أنه يستطيع أن يمارس الأشياء القريبة من بصره سواء كانت قراءة أم عملا يدويا لمدة أطول.. حيث لم يعد إدراكه البصرى مقصوراً على الأشياء القريبة من العين بل يتعداها لما هو بعيد عن مجاله البصرى... كما نلاحظ زوال طول النظر الذي يصاب به حوالى ٨٠% من أطفال المرحلة السابقة .

* * *

النمو الحركى للطفل

من ناحية النشاط الحركى للطفل سنلاحظ أنه فى مرحلة الطفولة الوسطى من ٦ : ٨ يكون ضعيفا .

السيطرة على الحركات الدقيقة كمحركات أنامل الأصابع وما شابه ذلك، وأن قدرته على النشاط الحركى الذي يحتاج لقوة وعنف لا تعوزها الإجادة .

ولذلك يجب أن نوجه عنايتنا لمساعدة الطفل على السيطرة على الحركات الكبيرة التى لا تحتاج لنشاط عقلى دقيق .. كما يجب ألا نتوقع منه العمل الدقيق الذي يحتاج لمهارة من الأنامل والدقة.

فمثلا حينما يبدأ الطفل ممارسة القراءة والكتابة يجب ألا يمارس كتابة الخط الكبير غير المتشابه، ويلاحظ استخدام الخط النسخ فى اللغة العربية بداية فى المرحلة التعليمية الأولى لأنه أبسط من الرقعة، وذلك لقلة زواياه ، ووضوح الحروف وعدد النقط ، ولاشك أن الممارسة الدقيقة الصحيحة للحروف المتشابـــهة تساعد الطفل فيما بعد على الإجادة والإتقان .

ثم ينضج النمو الحركى مع السنوات، فنجده فى مرحلة الطفولة المتأخرة من ٨ : ١٢ تنمو لديه قدراته الحركية إلى الحد الذي يساعده على السيطرة على القلم ودقته فى الكتابة ويتعلم الرقعة ويميل للكتابة الجميلة، ويمكنه أن يكتب موضوعاً إنشائياً وصفياً .. ويمكنه أن يوازن بين قدرته القرائية والكلامية من ناحية وبين قدرته التعبيرية التحريرية من ناحية أخرى .

* * *

العلاقات الكمية

الرياضة هى لغة الكم..والأرقام هى لغة الرموز التى تصاغ منها الكثير من العلاقات فى الحياة اليومية، ولذا يجب أن يهدف تعليم الرياضة فى المرحلة الأولى إلى فهم الطفل للنظام العددى وطريقة سيره.. ثم يتطور الأمر للوصول للمرحلة الثانية وهى قراءة الطفل للأرقام أو كتابتها ، فيمكنه قراءة عدد مكون من ثلاثة أو أربعة أرقام ويدرك أن الأرقام تقيس كم الشيء فالشهر وحدة السنة واليوم وحدة الشهر ... إلخ .

ويفهم المسائل الرياضية من طرح وجمع وضرب وقسمة... إلخ.. حتى تتضح فكرته عن الأرقام ولغة الكم والقياس والمساحة والحجوم والكسور ... إلخ

كما يبدأ الناشئ فى دراسة الهندسة العملية .. ونجد أن نموه العقلى يسمح له بنوع من النضج الذي يدرك بواسطته كل ما سبق .. وهكذا تتطور العلاقات الكمية بحسب سن الطفل ونضجه العقلى والإدراكى، وهذا ما نلاحظه لو تتبعنا المناهج الرياضية فى تسلسلها وتصاعدها من البداية وحتى هذه المرحلة .

* * *

النضج والتعلم

كثيراً ما يتطرق لأسماعنا أن هذا إنسان ناضج أو نتبادل عنه هذه الكلمة مع ذوينا ..

- **فما المقصود بالنضج ؟ وما علاقته بالتعلم ؟**

يقصد به التغيرات الداخلية فى الكائن الحى أو الفرد التى ترجع إلى تكوينه الفسيولوجى والعضوى وخاصة جهازه العصبى ، والتغيرات التى ترجع للنضج تغيرات سابقة على الخبرة والتعلم، وهى ناتجة عن التكوين الداخلى للفرد، ولا تلعب العوامل البيئية الخارجية دوراً فى خلق هذه التغيرات وإبداعها ولكن يقتصر دور العوامل البيئية على تدعيمها وتوجيهها، ويعتبر النضج هو أول شروط التعلم الهادف المقصود .

ونخرج من هذا بأن النضج درجة نمو معينة فى بعض الأجهزة الداخلية فى الكائن الحى .. وهذه الأجهزة هى المسئولة عن نمط استجابى معين يحقق وظيفة معينة لدى الكائن الحى.. والكائن الحى لا يستطيع أداء هذه الوظيفة إلا إذا وصل الجهاز الخارجى به إلى مستوى معين من النمو أيضا ، هذا المستوى هو الذي يطلق عليه "النضج" ..

فالإنسان ليس بقادر عل تعلم أى شىء فى أى مرحلة من مراحل حياته بنفس مرحلة سابقة أو لاحقة ، بل إن التعلم الجيد يجب أن نراعى فيه شروطاً معينة : فمثلاً من الصعب أن نعلم طفل الحضانة العمليات الحسابية، أو نعلم طفل الابتدائى الكيمياء والأحياء التى يدرسها الكبار، ونجد أنه لابد من النضج العقلى حتى يستوعب هذا ويتقنه والذى ينمو تدريجيا حسب كل مرحلة وأيضاً النضج العضوى .

ومن هنا نأتى لسؤال مهم، ما المقصود بالنضج العضوى؟ وما المقصود بالنضج العقلى ؟ وهل توجد علاقة بينهما وبين التعلم ؟

- **النضج العقلى :**

ونقصد بالنضج العقلى درجة النمو العامة فى الوظائف العقلية المختلفة المتعلقة بالأمر الذى يتعلمه الطفل، مع اعتبار مختلف ظروف الفروق الفردية الممكنة بين الأطفال فى نموهم العام .

وهنا تجب الإشارة إلى أننا لا نستطيع تحديد زمن معين لتعلم أمر معين، بل النمو العقلى العام هو الذى يؤهل الطفل لإدراك الموقف الخارجى.

- **النضج العضوى :**

يقصد به النمو الجسمى السوى لأعضاء الجسم المتصلة بالوظيفة التى يتعلم الفرد فى مجالها.. ونرى أن النضج الجسمى شرط أساسى لعملية التعلم.. لأنه من الواضح أن الطفل لن يستطيع تحصيل أدنى نجاح فى تعلمه إلا إذا كانت تكويناته العضوية لهذا التحصيل قد نمت.

فمثلا الطفل الذى لم تنم عضلات رجليه لا يستطيع تعلم المشى، وهو لا يستطيع تأدية الحركات الدقيقة بيديه إلا بعد درجة نمو معينة وهكذا .

ولذا تحدد القدرة على التعلم بدرجة النضج الجسمى فى الفترة التى يتقابل فيها الكائن الحى مع الموقف المراد تعلمه .

- **العلاقة بين النضج والتعلم :**

نجد أن الخوض فى تعلم موضوع معين يتوقف على نضج الأجهزة الجسمية، وأيضا الوظائف العقلية التى تعتبر مسئولة عن أداء الفرد فى تعلمه موضوع ما ولاشك أنه من العبث محاولة إكساب فرد القدرة على أداء عمل ما إذا لم يكن نضجه ييسر له هذا الأداء .. ومن هنا يعتبر النضج شرطا للتعلم.

ولكنه وحده غير كاف لحدوث هذا التعلم ، بل لابد من توافر شرط الممارسة ، بمعنى أن الطفل فى سن السابعة ييسر له نضجه اكتساب القدرة على الكتابة والقراءة، ولكنه لا يستطيع اكتساب هذه الأمور إلا إذا مارسها وتعلمها.. وهكذا .

* * *

طفل الحضانة

ما أقسى وما أصعب أن تترك أم طفلها ـ وخاصة إذا كان رضيعا ـ لدى أى مخلوق .. فحبها له يفوق حبه وتعلقه البسيط بكثير وخاصة فى هذه السن الحرجة..ولكن ماذا تفعل إذا اضطرتـــها الظروف لتركه سواء ظروفها العملية أو الأسرية لعدة ساعات لدى دور الحضانة أو لدى مربية ؟.. وما تأثير هذا على الطفل ؟!

نحن نعلم أن المرحلة الأولى فى حياة الطفل تعد من أهم المراحل فى حياته لأن تأثيرها لا يزول بزوال المرحلة.. بل يظل ممتدا للكبر، ومن الممكن أن تسبب له اضطرابا نفسيا فيما بعد .

ففى تلك المرحلة تتكون الاتجاهات الرئيسة لشخصية الطفل فهو يتعلم ـ بالطبع بواسطة أمه ـ العادات الخاصة بالتغذية والنظافة والمتصلة بالجنس والسلوكيات بصفة عامة .. كما أنه يتعلم المهارات العقلية والاجتماعية .. ونموه النفسى يتبلور فى تلك الفترة.. ولذا نجده ملتصقاً بأمه التصاقاً شديداً .

فوجود الأم فى حياة الطفل وبوعى منها لخطورة هذه المرحلة المبكرة من طفولته له أهمية كبيرة.. ولكن بعض الأمهات اللاتى لا تسمح ظروفهن بترك عملهن لرعاية الطفل فى هذه المرحلة يضطررن لتركه للعديد من الساعات كل يوم إما للمربية أو لإحدى دور الحضانة مما يضر بنفسية الطفل حيث افتقاده لأمه يشعره بعدم الأمان ويوتره ويتلقى بدهيات سلوك الحياة من أشخاص ربما غير تربويين ويضرونه مستقبلا، مما يجعله يعانى فى الكبر من عدم النضج الانفعالى .

فالطفل فى أعوامه الأولى يكون حساساً جداً لغياب أمه الذي يفقده الطمأنينة والدفء والحنان فيتولد لديه شعور بالقلق وقد يسبب هذا له ثورة انفعالية فيأخذ فى البكاء المستمر والصراخ حتى تعود أمه فيعود إليه هدوؤه.

وبالطبع نحن نعلم أيضا كم يتعلق الطفل بأمه الذي هو جزء منها، **ولكن ماذا لو حكمت الظروف بـــهذا واضطرت الأم للاستعانة بمربية أو جليسة أطفال؟**

إذا حدث هذا لابد أن تراعى الأم هذه النقاط : أن تـــهتم بسلوكياتـــها وبشخصيتها، وأن تراقبها فيما تفعل مع الصغير وأن

تختارها على درجة علمية ولو متوسطة ، وأن تكون طويلة البال وحنونة وعطوفة .. ولا تنسى أنـــها ستلعب دور الأم البديلة فى غيابك.

- **وماذا لو اضطرت الأم للذهاب به لدور حضانة ؟**

إذا اضطرت للذهاب به لدور حضانة فلابد أن تراعى الآتى:

١-أن يكون عدد الأسرة متوافراً لأن الطفل فى هذه المرحلة يحتاج للراحة لوقت طويل فى اليوم،وإذا لم يجد هذا يكون عصبيا ومضطربا مما يؤثر على صحته وحالته النفسية.

٢- أن يكون بـــها مكان واسع كحديقة أو فناء مثلا ليحصل الطفل على حصته من الشمس واللعب وليخرج طاقته الزائدة.

٣-أن يكون بـــها بعض اللعب التى تسعده وتنمى قدراته العقلية حسب سن الطفل .

- **أما بالنسبة للمعلمة أو المشرفة على الأطفال فى هذه السن فيجب أن تتمتع بصفات معينة منها :**

١- القدرة على فهم سلوكيات الأطفال .

٢- القدرة على توجيه هذه السلوكيات .

٣- تكون ملمة بأساليب التربية الحديثة والسليمة وأسس الرعاية الصحية للأطفال حتى لا تتسبب فى ضررهم .

- لذا يجب أن تكون مؤهلة لهذا ومدربة وعلى درجة عالية من الوعى وخاصة فى هذه المرحلة المهمة والحرجة من حياة الطفل .

* * *

طفل الابتدائى

لا أعتقد أن أياً منا من الممكن أن ينسى اليوم الأول له بالمدرسة وأحداثه سواء السعيدة منها أو التعيسة .. وليس غريباً ما نلاحظه على الطفل عند أول يوم يذهب فيه للمدرسة من صراخ وبكاء وتشبثه بذويه .. والذى من الممكن أن يحدث له صدمة نفسية تحول دون ذهابه للمدرسة لفترة وتترك آثارها السلبية عليه.. ولهذا فدور الأسرة والأم والمدرسة مهم للغاية فى ذلك اليوم والأيام القليلة التى تليه .. ولابد من التصرف بحكمة حتى نجنبه أية آثار نفسية فيما بعد وسنتناول فى السطور التالية كيفية التصرف إيذاء ذلك .

- **دور الأسرة والأم ــ بصفة خاصة ــ الذي يجب القيام به تجاه الطفل فى هذا اليوم :**

١- يجب التغلب على ما يعترى الطفل من خوف بنوع من التدرج.. فمن الخطأ آخذ الطفل مرة واحدة من وسطه العائلى الدافئ إلى جو المدرسة الذي يجد به نفسه وحيداً وعليه الاعتماد على نفسه فيشعر بالضياع والخوف وعدم الأمان ..

٢- يجب أن نقوم بتشويق الطفل للمدرسة بالحديث عما سيلقاه فيها من أطفال فى مثل سنه سيلعب معهم ويحبونه وما سيتعلمه من مدرسته على ألا يكون هناك نوع من المبالغة حتى لا يصدم حين لا يجد هذا .. ولابد لهذا التمهيد أن يحدث قبل دخول الطفل المدرسة بوقت كاف .

٣- من المفيد أن يصطحب أحد الأبوين طفله لزيارة المدرسة والتعرف على شكلها ومقابلة بعض المدرسين حتى يكون الطفل فكرة عنها ويألفها بعض الشيء .

٤- على الأم أن ترافق ابنها فى اليوم الأول وتطمئنه بإنـــها ستعود إليه بعد وقت قليل وتصدق فى هذا حتى يشعر بالأمان . ثم تكرر هذا بالتدريج على أن تتركه وقتاً أكبر .. وشيئاً فشيئاً سيعتاد هو ذلك ولا يتعرض لمشاكل نفسية تؤثر عليه مستقبلاً.

أما بالنسبة لدور المدرسة التي ينتقل إليها الطفل لأول مرة فلابد أن تراعى عدة أشياء :

- يجب أن يسود جو المدرسة نوعا من الألفة وأن يحيط الكبار الطفل بعطفهم ويشملوه بحنانـــهم سواء أكانوا مدرسين أو إداريين أو عمالاً حتى يشعر بالأمن بين جنبات المدرسة ويعتاد وجوده فيها.

فمثلا تحاول بعض المشرفات أو المدرسات أن تلهو مع أطفال فصلها فى فناء المدرسة ببعض الألعاب البسيطة فى وجود أمهاتـــهم .

- عدم زجرهم أو استخدام أى نوع من العنف معهم .
- لا نجعلهم يمكثون بالفصول سوى وقت قصير .
- نحاول تقديم بعض الحلوى أو البالونات الملونة التى تفرحهم وتجذب انتباههم .
- لابد أن تتوافر لدى مدرسات هذه المرحلة الجاذبية والصبر وطول البال وحب الأطفال .
- من الأفضل أن تكون مدرسات هذه المرحلة حاصلات على شهادة تربوية تؤهلهم للقيام بالتدريس لهذه السن لخطورة هذه المرحلة وما يترتب عليها فيما بعد .

ومتى تكاتفت المدرسة مع الأسرة فى ذلك اليوم سيكون اليوم الدراسى الأول للطفل مشبعاً بالبهجة والمحبة والألفة، وسيرى أن

المدرسة امتداد للبيت وليست بالمكان الغريب على عقله وحواسه وحاجاته النفسية .

وهكذا يكون دخول الطفل المدرسة أول احتكاك بينه وبين أول وحدة اجتماعية خارجية ، ويتوقف نجاح الطفل فى التكيف مع الوسط المدرسى على الأسس العامة التى أحيطت به أثناء تكوينه الاجتماعى داخل الأسرة.

ومن الطبيعى ـ فى حالة الظروف السوية ـ أن يتعاون الطفل مع غيره من الأطفال لكسب رضا مدرسته ، لأن المدرسة تمثل فى نظره الذات العليا، فهى التى تعاقب المخطئ وتثيب المحسن ، وهى من حيث هى كذلك ذات تأثير كبير فى تكوين خلق الطفل ، وهنا يجب أن تعامل المدرسة جميع الأطفال على حد سواء دون تفضيل أو محاباة، لأنـــها إذا حققت المساواة استطاعت أن تقود هذه الجماعة قيادة حكيمة فى صالح الأطفال كأفراد وفى صالحهم كمجموعة .

ولابد فيما بعد من الاتصال المستمر بين الآباء والمدرسة ووجود صلة بينهم وبين المدرسين حتى يقفوا على أى مشكلة تواجه الطفل وتبديدها فى الوقت المناسب وخاصة فى تلك الفترة الحرجة، لأن إهمال هذا من الممكن ألا يجعل الطفل متوائما مع المدرسة وهذا يؤثر على درجة تحصيله، ومن الممكن أن يسبب له مشاكل سلوكية كالانطواء والتهتهة واللجلجة والتبول اللإرادى.

* * *

العوامل المؤثرة فى تكوين الطفل

وقبل أن نبدأ فى سرد المشاكل النفسية التى يمكن أن يعانى منها الطفل فى تلك المرحلة لابد لنا من وقفة مع بعض المصطلحات التى تساعدنا على حل مشاكل طفلنا والتى نستخدمها كثيراً دون أن نعى بدقة ما تعنيه ومنها :

١- الشخصية :

كثيرا ما نسمع ويتطرق إلى أسماعنا أن فلانا عنده شخصية قوية وغيره يمتلك شخصية ضعيفة .

فما المقصود بكلمة شخصية ؟

المقصود بـــها أن ما يميز الشخص الأول هو أنه ذو تأثير على غيره من الناس، وأن له رأياً مستقراً بعكس الآخر الذي لا يوجد ثمة ما يميزه عن غيره فنجده ضعيف الإرادة ، ضعيف التأثير على غيره إلى آخر ذلك من الصفات .

أما فى علم النفس فالتعريفات كثيرة وسنأخذ منها هذا التعريف :

يقصد بالشخصية النظام الكامل من النـــزعات الثابتة نسبيا، الجسمية والنفسية التى تميز فرداً معينا عن غيره، والتى تقرر الأساليب المميزة لتكيفه مع بيئته المادية والاجتماعية .

وبما أن الشخصية عبارة عن مجموعة نـــزعات موجهة نحو هدف معين أو أهداف معينة فإنـــها وحدة ديناميكية .

والتأثير بين الشخصية ومجالها الخارجى تأثير متبادل مستمر .. حقيقة أن الشخصية مزودة ببعض النـــزعات الوراثية إلا أن هذه النـــزعات قابلة للتغير والتعديل بحكم العوامل المؤثرة فيها.

ولكن ما فائدة هذا بالنسبة لما نحن بصدده ؟ فائدة هذا أننا فى مجال التناول النفسى للطفل فى تلك المرحلة ولابد من دراستنا لشخصيته على ضوء أنـــها وحدة ديناميكية قابلة للتشكل تبعاً لتأثير عدة عوامل منها :

أولا :العوامل الجسمية :

المقصود بـــها تلك التى تتعلق بالنمو الجسمى العام والحالة الصحية العامة، وهذه العوامل تميز بين صفتين : عامة وخاصة .

١- **الصفة العامة للحالة الجسمية:** مثل النمو الجسمى الطبيعى والصحة العامة والمقاومة ضد الأمراض .

٢- **أما الصفة الخاصة:** فهى أن يكون الفرد مميزاً فى شىء ما كالطول أو القصر أو الثقل فى الوزن أو نقص معين فى أية ناحية جسمية داخلية أو خارجية.

وهذا لابد من الانتباه له وملاحظته لأن العقل السليم فى الجسم السليم .. فملاحظة النمو الجسمانى للطفل ومعالجة أى مرض يهاجم جسمه، أو أى نقص يلازمه من البداية أمر مهم على صحة الطفل ونفسيته.

ثانياً : العوامل الاجتماعية :

ويقصد تلك العوامل التى تتوقف على البيئة التى يعيش فيها الطفل وهى بدورها تنقسم لمجموعتين :

أ- **المجموعة الأولى** : وتتعلق بالظروف الاجتماعية داخل المنـــزل ولسنا فى حاجة للتأكيد على قيمة هذه المجموعة فى تأثيرها على الشخصية وعلى أثرها إذا كانت صالحة فى إعداد أطفال أصحاء نفسياً ، وتدخل تحت هذه المجموعة عوامل أربعة تؤثر بالفعل فى شخصية الطفل وهى :

١- حالة الأسرة الاقتصادية : وتعتبر الحالة الاقتصادية طبيعية إذا كان مستوى الأسرة الاقتصادى كافيا لسد حاجاتـــها الأساسية من كساء وغذاء وصحة ومأوى وتعليم ونشاط ترويحي..ويكون الطفل فى هذه الحالة مستقراً نفسياً لحد كبير .

٢- ظروف الأسرة المنـــزلية الطبيعية : ويقصد بـــها الأسرة التى تتكون من أب وأم وأولادهما والذين يعيشون عيشة واحدة وتحت سقف واحد وإذا اختل هذا الوضع لسبب من الأسباب تعتبر هذه الظروف غير طبيعية .. كأن مثلا يشرف على تربية الطفل زوج أو زوجة أب .....إلخ.

٣- **المعاملة المنـــزلية** : ويقصد بـــها الأسلوب الذي يتعامل به الوالدان مع أبنائهما وهل هو عنيف لدرجة القسوة أم سهل لدرجة الميوعة والتدليل أو متناقض أو غير موجود من الأصل ، وخاصة أن لهذا آثاراً مستقبلية جديرة بالاهتمام لما يمكن أن يكون عليه الطفل فى المستقبل .

٤- صلاحية المنـــزل للتربية: فالمنـــزل غير الصالح للتربية هو المنـــزل الفاسد، وهو الذي يكون فيه أحد قطبيه الأم أو الأب أو كليهما مصابا بإدمان الخمر أو تعاطى المخدرات أو المقامرة أو السرقة وما إلى ذلك.. ولا تعليق على هذا الوضع .

ب- المجموعة الثانية : وهى التى تتعلق بظروف نشاط الطفل خارج المنـــزل، وتنقسم أيضاً هذه المجموعة لثلاثة عوامل وهى :

١- أن نوجه الطفل للعمل المتفق وميوله ومواهبه حتى يكون هناك توافق مع شخصيته.

٢- أوقات الفراغ وكيف يمضيها وأهمية ذلك فى تكوين شخصية متزنة، وغالبا ما نجد أن الهوايات العملية والفنية أو الأدبية أوالنشاط الرياضى هى خير هذه السبل .

٣- أنواع الأصدقاء الذين يرافقون الطفل فلا شك من تأثيرهم عليه فى ميوله وأوقات فراغه ونشاطه الترويحى .

* * *

التكوين النفسى

وصلنا لمصطلح التكوين النفسى .. والمقصود بالتكوين النفسى للطفل: هو ما يكتسبه من صفات سواء كانت موروثة أو مكتسبة تميزه فى تفاعله مع مواقف الحياة عن غيره : وبالتالى تميز سلوكه فى تصرفاته وتوافقه مع المجتمع عن غيره أيضا.. وإذا كنا لا نستطيع أن نتحكم فى الجينات والصفات الموروثة للطفل فمن الممكن أن نعدل ما بـــها بواسطة السلوكيات المكتسبة عن طريق المحيطين به داخل المنـــزل أو خارجه ولا نكتفى بمصمصة الشفاة ونقول إنه وارث هذا عن والده أو والدته مثلا .. لأن الطفل كالعجينة والتى من السهل تشكيلها وخاصة فى المراحل الأولى ولابد من المحاولة وكل شىء له علاجه .